من أسباب الرزق الخفية

٢

التقوى

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

التَّقْوَى وَصِيَّةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ

فَقَدْ ضَمَّنَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ ﷺ كَثِيرًا مِنَ الْوَصَايَا، وَإِنَّهُ حَقِيقٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ يَرْعَىٰ لِلْقُرْآنِ قَدْرَهُ وَلِلنَّبِيِّ ﷺ مَنْزِلَتَهُ أَنْ يَضْرِبَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَيْدَانِ بِسَهْمٍ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ فِي هَذَا الشَّأْنِ نَصِيبٌ.

إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ وَصَّىٰ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

فَالتَّقْوَىٰ وَصِيَّةُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ؛ فَأُوصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ تَقْوَاهُ -يَعْنِي: مَا يَجْعَلُهُ الْعَبْدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِقَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَسُخْطِهِ وَعَذَابِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ- وِقَايَةً تَقِيهِ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ عَذَابُ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَنْ يَلْحَقَهُ سُخْطُ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا.

أَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالتَّقْوَىٰ؛ بِأَنْ يَجْعَلَ الْمَرْءُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَضَبِ رَبِّهِ وِقَايَةً تَقِيهِ إِيَّاهُ -بِرَحْمَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ-، وَأَنْ يَجْعَلَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وِقَايَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَظَىٰ النِّيرَانِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلْعَاصِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ-.

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ فَهِيَ وَصِيَّةُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.(*).

إِنَّ تَقْوَىٰ اللهِ جَلَّوَعَلَا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَمُرَاقَبَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي السِّرِّ وَفِي الْعَلَنِ، وَأَلَّا يَكُونَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَهْوَنَ النَّاظِرِينَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يَسْتَحْيِيَ الْإِنْسَانُ مِنَ اللهِ جَلَّوَعَلَا؛ لِأَنَّهُ نَاظِرٌ إِلَيْكَ مُطَّلِعٌ عَلَيْكَ؛ بَلْ عَالِمٌ عَلِيمٌ بِخَفَايَا مَا تُكِنُّهُ نَفْسُكَ وَبِطَوَايَاكَ، وَمَا هُوَ مُسْتَكِنٌّ مُسْتَقِرٌّ فِي ضَمِيرِكَ.

إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَحَقُّ مَنِ اسْتُحْيِيَ مِنْهُ، وَأَحَقُّ مَنِ اسْتَحْيَا مِنْهُ الْعَبْدُ إِذَا كَانَ ذَا حَيَاءٍ مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكَانَ صَادِقًا فِي حَيَائِهِ مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَلِذَلِكَ لَمَّا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ عَوْرَةِ الْإِنْسَانِ؛ مَا يُبْدِي مِنْهَا الْإِنْسَانُ وَمَا يُخْفِي، فَقِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ السُّؤَالِ: «يَا رَسُولَ اللهِ! عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ».

قَالَ: «**احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ**».

قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ».

قَالَ: «**فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تُرِيَهَا أَحَدًا فَلَا تُرِيَنَّهَا**».

قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ! فَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ» - الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢١هـ| ٢-٦-٢٠٠٠م.

قَالَ: «**فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ**»(١).

إِنَّ الْإِنْسَانَ يَكُونُ فِي الْبَيْتِ لَيْسَ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ؛ أَيَضَعُ عِنْدَئِذٍ ثِيَابَهُ مُتَجَرِّدًا لِأَنَّهُ قَدْ أَمِنَ مِنْ نَظَرِ النَّاظِرِينَ إِلَيْهِ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ**».(*).

❀❀❀

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (١٩٢٠)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٥٧٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ» - الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢١هـ| ٢-٦-٢٠٠٠م.

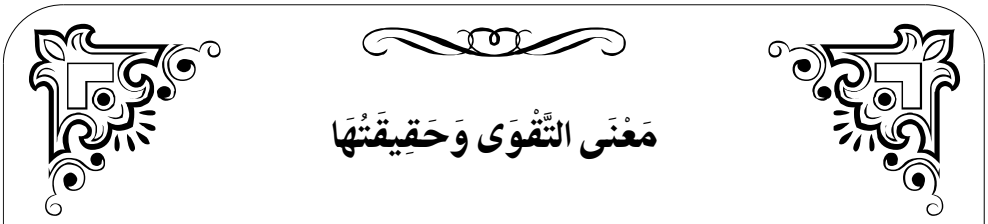

مَعْنَى التَّقْوَى وَحَقِيقَتُهَا

عِبَادَ اللهِ! التَّقْوَىٰ فِي مَعْنًىٰ مِنْ مَعَانِيهَا، وَفِي تَعْرِيفٍ مِنْ تَعْرِيفِهَا؛ فَهِيَ قَوْلُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ-: «التَّقْوَىٰ: فِعْلُ الْمَأْمُورَاتِ، وَتَرْكُ الْمَحْظُورَاتِ».

التَّقْوَىٰ فِي كَلِمَةٍ جَامِعَةٍ سَرِيعَةٍ مِنْ غَيْرِ مَا تَفَلْسُفٍ، وَمِنْ غَيْرِ مَا مَزِيدِ كَلَامٍ، التَّقْوَىٰ إِنَّمَا هِيَ هَذَا الْمَعْنَىٰ الَّذِي ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ، يَقُولُ: إِنَّ التَّقْوَىٰ إِنَّمَا هِيَ فِعْلُ الْمَأْمُورَاتِ، وَتَرْكُ الْمَحْظُورَاتِ.

فَمَنْ فَعَلَ مَا أَمَرَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ، وَانْتَهَىٰ عَمَّا نَهَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَنْهُ؛ فَهُوَ مُتَّقٍ لِلَّهِ حَقًّا.

وَفِي تَعْرِيفٍ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عِنْدَمَا سَأَلَهُ عَنِ التَّقْوَىٰ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَمَا سِرْتَ فِي طَرِيقٍ ذِي شَوْكٍ؟».

قَالَ: «بَلَىٰ».

قَالَ: «مَا صَنَعْتَ؟».

قَالَ: «شَمَّرْتُ وَاجْتَهَدْتُ».

قَالَ: «فَتِلْكَ التَّقْوَىٰ».

إِذَنْ؛ التَّقْوَىٰ أَنْ تَكُونَ سَائِرًا فِي طَرِيقِ الْحَيَاةِ مُشَمِّرًا مُجْتَهِدًا وَاعِيًا مُنْضَبِطًا، وَأَنْ تَكُونَ حَذِرًا وَأَنْتَ تَضَعُ الْقَدَمَ؛ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ تَحْتَ الْقَدَمِ شَيْءٌ مِمَّا يُؤْذِيكَ.(*).

قَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ كَاشِفًا عَنْ رُوحِ التَّقْوَىٰ: «التَّقْوَىٰ: أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللهِ، عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللهِ، تَرْجُو ثَوَابَ اللهِ، وَأَنْ تَتْرُكَ مَعْصِيَةَ اللهِ، عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللهِ، تَخَافُ عِقَابَ اللهِ».

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُبَيِّنًا حَقِيقَةَ التَّقْوَىٰ: «بِأَنْ يَتَّقِيَ الْعَبْدُ رَبَّهُ حَتَّىٰ يَتَّقِيَهُ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ، وَحَتَّىٰ يَتْرُكَ بَعْضَ مَا يَرَىٰ أَنَّهُ حَلَالٌ؛ خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ حَرَامًا يَكُونُ حِجَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَامِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ بَيَّنَ لِلْعِبَادِ الَّذِي يُصَيِّرُهُمْ إِلَيْهِ فَقَالَ: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ**﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

لَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ أَنْ تَفْعَلَهُ، وَلَا شَيْئًا مِنَ الشَّرِّ أَنْ تَتَّقِيَهُ.

وَهَذَا الْمَلْحَظُ الدَّقِيقُ فِي التَّقْوَىٰ يَحْتَاجُ إِلَىٰ رُوحٍ عَالِيَةٍ مِنَ الْمُحَاسَبَةِ عَلَىٰ الذَّرَّةِ وَمِثْقَالِ الذَّرَّةِ، وَسَوْفَ نَرَىٰ مِنْ أَعْمَالِنَا مَثَاقِيلَهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ؛ فَلْنُحَاسِبْ أَنْفُسَنَا عَلَىٰ تِلْكَ الْمَثَاقِيلِ -مَثَاقِيلِ الذَّرِّ- فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّنَا سَنُحَاسَبُ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨**﴾.

قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْمُتَّقِي أَشَدُّ مُحَاسَبَةً لِلنَّفْسِ مِنَ الشَّرِيكِ الشَّحِيحِ لِشَرِيكِهِ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «مَقَامُ التَّقْوَىٰ».

وَتَلْحَظُ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّ التَّقْوَىٰ بِمِقْدَارِ مَا تَحْيَا فِي الْقَلْبِ تُحْيِي قُدْرَتَهُ عَلَىٰ مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ، فَلَيْسَ كَثِيرًا عَلَىٰ نَفْسِكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ.(*).

قَالَ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَيْسَ تَقْوَىٰ اللهِ بِصِيَامِ النَّهَارِ، وَلَا بِقِيَامِ اللَّيْلِ، وَالتَّخْلِيطِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ تَقْوَىٰ اللهِ تَرْكُ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَأَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللهُ، فَمَنْ رُزِقَ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ إِلَىٰ خَيْرٍ»(٢).

حَقِيقَةُ التَّقْوَىٰ حِفْظُ الْجَوَارِحِ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَلُزُومُهَا طَاعَتَهُ، فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَرْفُوعِ الَّذِي أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ: «الِاسْتِحْيَاءُ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَىٰ، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَىٰ»(٣).

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَحِفْظُ الرَّأْسِ وَمَا وَعَىٰ يَدْخُلُ فِيهِ حِفْظُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَاللِّسَانِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَحِفْظُ الْبَطْنِ وَمَا حَوَىٰ يَتَضَمَّنُ حِفْظَ الْقَلْبِ عَنِ الْإِصْرَارِ عَلَىٰ مُحَرَّمٍ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «حَقِيقَةُ التَّقْوَىٰ وَرُوحُهَا».

(٢) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير»: (ص:٣٥١، رقم:٩٦٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (٤٥/ ٢٣٠)، بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند»: (١/ ٣٨٧/ رقم:٣٦٧١)، والترمذي في «الجامع»: كتاب صفة القيامة: باب ٢٤، (٢٤٥٨)، والحاكم في «المستدرك»: (٤/ ٣٢٣/ رقم:٧٩١٥).
قال الترمذي: «هذا حديث غريب»، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد»، وحسن إسناده النووي في «خلاصة الأحكام»: (٢/ ٨٩٤/ رقم:٣١٦٠)، وحسنه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٣١٩/ رقم:١٧٢٤).

وَقَدْ جَمَعَ اللهُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وَيَتَضَمَّنُ -أَيْضًا- حِفْظَ الْبَطْنِ مِنْ إِدْخَالِ الْحَرَامِ إِلَيْهِ مِنَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ، وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَجِبُ حِفْظُهُ مِنْ نَوَاهِي اللهِ جَلَّوَعَلَا: اللِّسَانُ وَالْفَرْجُ.

فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَفِظَ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ**». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالْبُخَارِيُّ بِلَفْظٍ قَرِيبٍ(١)»(٢). (*).

❀❀❀

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: كتاب الزهد: باب ما جاء في حفظ اللسان، (٢٤٠٩)، وابن حبان في «الصحيح»: (١٣/ ٩/ رقم:٥٧٠٣) بترتيب ابن بلبان، والحاكم في «المستدرك»: (٤/ ٣٥٧/ رقم:٨٠٥٨).

وفي رواية -عند الترمذي وابن حبان-: «**من وقاه الله شر ما بين لحييه، وشر ما بين رجليه دخل الجنة**».

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»، وصححه بشواهده الألباني في «الصحيحة»: (٢/ ٣٦/ رقم:٥١٠).

والحديث بمعناه عند البخاري في «الصحيح»: كتاب الرقاق: باب حفظ اللسان، (٦٤٧٤)، من حديث: سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بلفظ: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**».

(٢) «**جامع العلوم والحكم**»: الحديث التاسع عشر، (١/ ٤٦٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «فِقْهُ الصِّيَامِ» (الْمُحَاضَرَةُ التَّاسِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: مِنْ حِكَمِ الصِّيَامِ»، الثُّلَاثَاءُ ٢٠ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ| ٥-٦-٢٠١٨م.

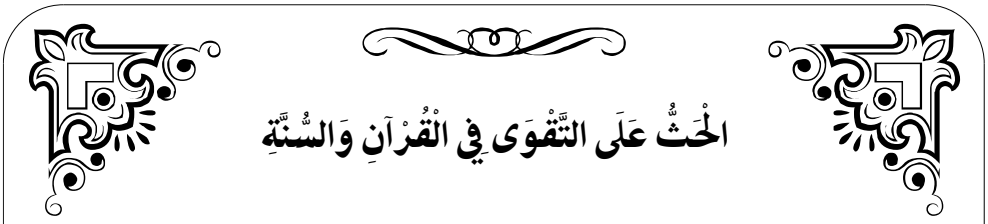

الْحَثُّ عَلَى التَّقْوَى فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

لَقَدْ أَوْلَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عِنَايَةً كَبِيرَةً بِالتَّقْوَى، وَالْحَثِّ عَلَيْهَا، وَالْأَمْرِ بِلُزُومِهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾ [الحشر: ١٨-٢٠].

«يَأْمُرُ -تَعَالَىٰ- عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يُوجِبُهُ الْإِيمَانُ وَيَقْتَضِيهِ مِنْ لُزُومِ تَقْوَاهُ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَأَنْ يُرَاعُوا مَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ أَوَامِرِهِ وَشَرَائِعِهِ وَحُدُودِهِ، وَيَنْظُرُوا مَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ، وَمَاذَا حَصَلُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَنْفَعُهُمْ أَوْ تَضُرُّهُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ فَإِنَّهُمْ إِذَا جَعَلُوا الْآخِرَةَ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَقِبْلَةَ قُلُوبِهِمْ، وَاهْتَمُّوا لِلْمُقَامِ بِهَا؛ اجْتَهَدُوا فِي كَثْرَةِ الْأَعْمَالِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَيْهَا، وَتَصْفِيَتِهَا مِنَ الْقَوَاطِعِ وَالْعَوَائِقِ الَّتِي تُوقِفُهُمْ عَنِ السَّيْرِ أَوْ تَعُوقُهُمْ أَوْ تَصْرِفُهُمْ، وَإِذَا عَلِمُوا -أَيْضًا- أَنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ، لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ أَعْمَالُهُمْ، وَلَا تَضِيعُ لَدَيْهِ وَلَا يُهْمِلُهَا؛ أَوْجَبَ لَهُمُ الْجِدَّ وَالِاجْتِهَادَ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَصْلٌ فِي مُحَاسَبَةِ الْعَبْدِ نَفْسَهُ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَفَقَّدَهَا،

فَإِنْ رَأَىٰ زَلَلًا تَدَارَكَهُ بِالْإِقْلَاعِ عَنْهُ، وَالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْأَسْبَابِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَيْهِ، وَإِنْ رَأَىٰ نَفْسَهُ مُقَصِّرًا فِي أَمْرٍ مِنْ أَوَامِرِ اللهِ بَذَلَ جُهْدَهُ، وَاسْتَعَانَ بِرَبِّهِ فِي تَتْمِيمِهِ وَتَكْمِيلِهِ وَإِتْقَانِهِ، وَيُقَايِسُ بَيْنَ مِنَنِ اللهِ عَلَيْهِ وَإِحْسَانِهِ وَبَيْنَ تَقْصِيرِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ لَهُ الْحَيَاءَ لَا مَحَالَةَ.

وَالْحِرْمَانُ كُلَّ الْحِرْمَانِ أَنْ يَغْفُلَ الْعَبْدُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَيُشَابِهَ قَوْمًا نَسُوا اللهَ، وَغَفَلُوا عَنْ ذِكْرِهِ وَالْقِيَامِ بِحَقِّهِ، وَأَقْبَلُوا عَلَىٰ حُظُوظِ أَنْفُسِهِمْ وَشَهَوَاتِهَا؛ فَلَمْ يَنْجَحُوا، وَلَمْ يَحْصُلُوا عَلَىٰ طَائِلٍ؛ بَلْ أَنْسَاهُمُ اللهُ مَصَالِحَ أَنْفُسِهِمْ، وَأَغْفَلَهُمْ عَنْ مَنَافِعِهَا وَفَوَائِدِهَا، فَصَارَ أَمْرُهُمْ فُرُطًا، فَرَجَعُوا بِخَسَارَةِ الدَّارَيْنِ، وَغُبِنُوا غَبْنًا لَا يُمْكِنُهُمْ تَدَارُكُهُ، وَلَا يُجْبَرُ كَسْرُهُ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ الَّذِينَ خَرَجُوا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَأَوْضَعُوا فِي مَعَاصِيهِ؛ فَهَلْ يَسْتَوِي مَنْ حَافَظَ عَلَىٰ تَقْوَىٰ اللهِ، وَنَظَرَ لِمَا قَدَّمَ لِغَدِهِ، فَاسْتَحَقَّ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَالْعَيْشَ السَّلِيمَ -مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ-؛ وَمَنْ غَفَلَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، وَنَسِيَ حُقُوقَهُ، فَشَقِيَ فِي الدُّنْيَا، وَاسْتَحَقَّ الْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ؟! فَالْأَوَّلُونَ هُمُ الْفَائِزُونَ، وَالْآخِرُونَ هُمُ الْخَاسِرُونَ»(١).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾ [المائدة: ٣٥].

«هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَقْتَضِيهِ الْإِيمَانُ مِنْ تَقْوَىٰ اللهِ، وَالْحَذَرِ

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٠٠٦).

مِنْ سَخَطِهِ وَغَضَبِهِ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ يَجْتَهِدَ الْعَبْدُ، وَيَبْذُلَ غَايَةَ مَا يُمْكِنُهُ مِنَ الْمَقْدُورِ فِي اجْتِنَابِ مَا يَسْخَطُهُ اللهُ مِنْ مَعَاصِي الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَيَسْتَعِينُ بِاللهِ عَلَىٰ تَرْكِهَا؛ لِيَنْجُوَ بِذَلِكَ مِنْ سَخَطِ اللهِ وَعَذَابِهِ.

﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ أَيِ: الْقُرْبَ مِنْهُ، وَالْحُظْوَةَ لَدَيْهِ، وَالْحُبَّ لَهُ، وَذَلِكَ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ الْقَلْبِيَّةِ؛ كَالْحُبِّ لَهُ وَفِيهِ، وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَالْإِنَابَةِ وَالتَّوَكُّلِ، وَالْبَدَنِيَّةِ؛ كَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَالْمُرَكَّبَةِ مِنْ ذَلِكَ؛ كَالصَّلَاةِ وَنَحْوِهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ، وَمِنْ أَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْخَلْقِ بِالْمَالِ، وَالْعِلْمِ، وَالْجَاهِ، وَالْبَدَنِ، وَالنُّصْحِ لِعِبَادِ اللهِ، فَكُلُّ هَذِهِ الْأَعْمَالِ تُقَرِّبُ إِلَىٰ اللهِ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَىٰ اللهِ حَتَّىٰ يُحِبَّهُ اللهُ، فَإِذَا أَحَبَّهُ كَانَ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَيَسْتَجِيبُ اللهُ لَهُ الدُّعَاءَ.

ثُمَّ خَصَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْمُقَرِّبَةِ إِلَيْهِ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ، وَهُوَ: بَذْلُ الْجُهْدِ فِي قِتَالِ الْكَافِرِينَ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَالرَّأْيِ وَاللِّسَانِ، وَالسَّعْيِ فِي نَصْرِ دِينِ اللهِ بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ؛ لِأَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنْ أَجَلِّ الطَّاعَاتِ وَأَفْضَلِ الْقُرُبَاتِ، وَلِأَنَّ مَنْ قَامَ بِهِ فَهُوَ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِغَيْرِهِ أَحْرَىٰ وَأَوْلَىٰ.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾: إِذَا اتَّقَيْتُمُ اللهَ بِتَرْكِ الْمَعَاصِي، وَابْتَغَيْتُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَىٰ اللهِ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَجَاهَدْتُمْ فِي سَبِيلِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ.

وَالْفَلَاحُ هُوَ الْفَوْزُ وَالظَّفَرُ بِكُلِّ مَطْلُوبٍ مَرْغُوبٍ، وَالنَّجَاةُ مِنْ كُلِّ مَرْهُوبٍ،

فَحَقِيقَتُهُ السَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ وَالنَّعِيمُ الْمُقِيمُ»(١).

وَقَالَ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [البقرة: ٢٠٣].

«﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾: فَمُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، فَمَنِ اتَّقَاهُ وَجَدَ جَزَاءَ التَّقْوَىٰ عِنْدَهُ، وَمَنْ لَمْ يَتَّقِهِ عَاقَبَهُ أَشَدَّ الْعُقُوبَةِ، فَالْعِلْمُ بِالْجَزَاءِ مِنْ أَعْظَمِ الدَّوَاعِي لِتَقْوَىٰ اللهِ؛ فَلِهَذَا حَثَّ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ الْعِلْمِ بِذَلِكَ»(٢).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ [البقرة: ٢٣١].

«﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾: فَلِهَذَا بَيَّنَ لَكُمْ هَذِهِ الْأَحْكَامَ بِغَايَةِ الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ، الَّتِي هِيَ جَارِيَةٌ مَعَ الْمَصَالِحِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ؛ فَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ»(٣).

وَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣١-١٣٢].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٢٣٥).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٩٢).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٠٤).

«﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾: بِتَرْكِ مَا يُوجِبُ دُخُولَهَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي عَلَىٰ اخْتِلَافِ دَرَجَاتِهَا؛ فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ كُلَّهَا -وَخُصُوصًا الْمَعَاصِيَ الْكِبَارَ- تَجُرُّ إِلَىٰ الْكُفْرِ؛ بَلْ هِيَ مِنْ خِصَالِ الْكُفْرِ الَّذِي أَعَدَّ اللهُ النَّارَ لِأَهْلِهِ، فَتَرْكُ الْمَعَاصِي يُنْجِي مِنَ النَّارِ، وَيَقِي مِنْ سَخَطِ الْجَبَّارِ، وَأَفْعَالُ الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ تُوجِبُ رِضَا الرَّحْمَنِ، وَدُخُولَ الْجِنَانِ، وَحُصُولَ الرَّحْمَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾: بِفِعْلِ الْأَوَامِرِ امْتِثَالًا، وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾؛ فَطَاعَةُ اللهِ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ مِنْ أَسْبَابِ حُصُولِ الرَّحْمَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ...﴾ [الأعراف:١٥٦] الْآيَاتِ»(١).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾ [الحج: ١].

«يُخَاطِبُ اللهُ النَّاسَ كَافَّةً بِأَنْ يَتَّقُوا رَبَّهُمُ الَّذِي رَبَّاهُمْ بِالنِّعَمِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ؛ فَحَقِيقٌ بِهِمْ أَنْ يَتَّقُوهُ بِتَرْكِ الشِّرْكِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، وَيَمْتَثِلُوا أَوَامِرَهُ مَهْمَا اسْتَطَاعُوا.

ثُمَّ ذَكَرَ مَا يُعِينُهُمْ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْ تَرْكِهَا، وَهُوَ الْإِخْبَارُ بِأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾: لَا يُقْدَرُ قَدْرُهُ، وَلَا يُبْلَغُ كُنْهُهُ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهَا إِذَا وَقَعَتِ السَّاعَةُ رَجَفَتِ الْأَرْضُ وَارْتَجَّتْ، وَزُلْزِلَتْ زِلْزَالَهَا،

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٥٦-١٥٧).

وَتَصَدَّعَتِ الْجِبَالُ وَانْدَكَّتْ، وَكَانَتْ كَثِيبًا مَهِيلًا، ثُمَّ كَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا، ثُمَّ انْقَسَمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَزْوَاجٍ، فَهُنَاكَ تَنْفَطِرُ السَّمَاءُ، وَتُكَوَّرُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَتَنْتَثِرُ النُّجُومُ، وَيَكُونُ مِنَ الْقَلَاقِلِ وَالْبَلَابِلِ مَا تَنْصَدِعُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَتَجِلُّ مِنْهُ الْأَفْئِدَةُ، وَتَشِيبُ مِنْهُ الْوِلْدَانُ، وَتَذُوبُ لَهُ الصُّمُّ الصِّلَابُ»(١).

وَكَمَا أَوْلَى الْقُرْآنُ اهْتِمَامًا عَظِيمًا بِالتَّقْوَى؛ كَذَلِكَ دَلَّتْ كَثِيرٌ مِنْ نُصُوصِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى عِظَمِ مَنْزِلَةِ التَّقْوَى، وَأَمَرَتْ بِلُزُومِهَا؛ فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: «**اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ؛ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ**»(٢). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»(٣). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ».

قَالَ: «**تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»(٤). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَه،

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٦٢٢).

(٢) أخرجه أبو داود (١٩٥٥)، والترمذي (٦١٦)، وأحمد (٢٢١٦١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٦١٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٩٥)، ومسلم (١٠١٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤) واللفظ له، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وأحمد (٩٠٨٥)، وحسنه =

وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ -أَوْ: يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ-؟**».

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: **قُلْتُ**: «أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا، وَقَالَ: «**اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَىٰ النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَىٰ جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**»(٢). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَه، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: «وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ؛ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟».

=

الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٠٠٤).

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٢١٣٩٢)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٩٨٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٠٥)، وابن ماجه (٤٢١٧) مختصرًا، وأحمد (٨٠٩٥)، وحسنه الألباني في «هداية الرواة» (٥/ ٨).

قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَأَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ رِفَاعَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَرَأَىٰ النَّاسَ يَتَبَايَعُونَ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ**».

فَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «**إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا إِلَّا مَنِ اتَّقَىٰ اللهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ**»(٢). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَىٰ، وَالتُّقَىٰ، وَالْعَفَافَ، وَالْغِنَىٰ**»(٣). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

❀❀❀

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) واللفظ له، وأحمد (١٧١٨٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٦٠٧).

(٢) أخرجه الترمذي (١٢١٠)، وصححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب» (١٧٨٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٢١).

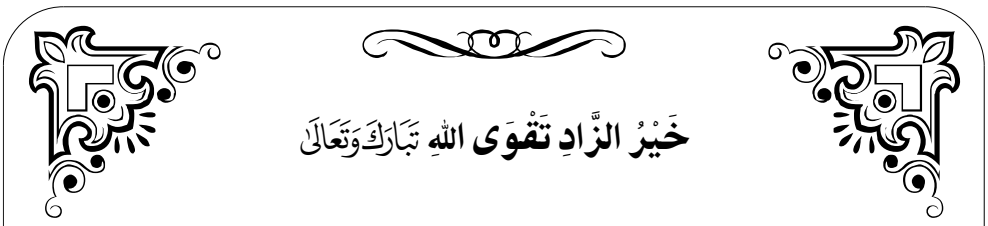

خَيْرُ الزَّادِ تَقْوَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

لَقَدْ دَلَّنَا رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- عَلَى خَيْرِ زَادٍ نَتَزَوَّدُ بِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

«الزَّادُ الْحَقِيقِيُّ الْمُسْتَمِرُّ نَفْعُهُ لِصَاحِبِهِ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ هُوَ زَادُ التَّقْوَىٰ الَّذِي هُوَ زَادٌ إِلَىٰ دَارِ الْقَرَارِ، وَهُوَ الْمُوصِلُ لِأَكْمَلِ لَذَّةٍ وَأَجَلِّ نَعِيمٍ دَائِمٍ أَبَدًا، وَمَنْ تَرَكَ هَذَا الزَّادَ فَهُوَ الْمُنْقَطِعُ بِهِ الَّذِي هُوَ عُرْضَةٌ لِكُلِّ شَرٍّ، وَمَمْنُوعٌ مِنَ الْوُصُولِ إِلَىٰ دَارِ الْمُتَّقِينَ، فَهَذَا مَدْحٌ لِلتَّقْوَىٰ.

ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أُولِي الْأَلْبَابِ فَقَالَ: ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ أَيْ: يَا أَهْلَ الْعُقُولِ الرَّزِينَةِ! اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي تَقْوَاهُ أَعْظَمُ مَا تَأْمُرُ بِهِ الْعُقُولُ، وَتَرْكُهَا دَلِيلٌ عَلَىٰ الْجَهْلِ وَفَسَادِ الرَّأْيِ»[1].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ﴾ [الأعراف: ٢٦].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٩٠).

«﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾: مِنَ اللِّبَاسِ الْحِسِّيِّ؛ فَإِنَّ لِبَاسَ التَّقْوَىٰ يَسْتَمِرُّ مَعَ الْعَبْدِ، وَلَا يَبْلَىٰ وَلَا يَبِيدُ، وَهُوَ جَمَالُ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ.

وَأَمَّا اللِّبَاسُ الظَّاهِرِيُّ فَغَايَتُهُ أَنْ يَسْتُرَ الْعَوْرَةَ الظَّاهِرَةَ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، أَوْ يَكُونَ جَمَالًا لِلْإِنْسَانِ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْهُ نَفْعٌ.

وَأَيْضًا فَبِتَقْدِيرِ عَدَمِ هَذَا اللِّبَاسِ تَنْكَشِفُ عَوْرَتُهُ الظَّاهِرَةُ الَّتِي لَا يَضُرُّهُ كَشْفُهَا مَعَ الضَّرُورَةِ، وَأَمَّا بِتَقْدِيرِ عَدَمِ لِبَاسِ التَّقْوَىٰ فَإِنَّهَا تَنْكَشِفُ عَوْرَتُهُ الْبَاطِنَةُ، وَيَنَالُ الْخِزْيَ وَالْفَضِيحَةَ»[1].

❀❀❀

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٣٢١).

جُمْلَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ

عِبَادَ اللهِ! لَقَدْ وَصَفَ اللهُ -تَعَالَى- الْمُتَّقِينَ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: ١-٥].

«حَقِيقَةُ التَّقْوَىٰ: اتِّخَاذُ مَا يَقِي سَخَطَ اللهِ وَعَذَابَهُ؛ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي، فَاهْتَدَوْا بِهِ، وَانْتَفَعُوا غَايَةَ الِانْتِفَاعِ.

وَصَفَ الْمُتَّقِينَ بِالْعَقَائِدِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ؛ لِتَضَمُّنِ التَّقْوَىٰ لِذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾: حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ: هُوَ التَّصْدِيقُ التَّامُّ بِمَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ، الْمُتَضَمِّنُ لِانْقِيَادِ الْجَوَارِحِ، وَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الْإِيمَانِ بِالْأَشْيَاءِ الْمُشَاهَدَةِ بِالْحِسِّ؛ فَإِنَّهُ لَا يَتَمَيَّزُ بِهَا الْمُسْلِمُ مِنَ الْكَافِرِ، إِنَّمَا الشَّأْنُ فِي الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ الَّذِي لَمْ نَرَهُ وَلَمْ نُشَاهِدْهُ، وَإِنَّمَا نُؤْمِنُ بِهِ لِخَبَرِ اللهِ وَخَبَرِ رَسُولِهِ، فَهَذَا الْإِيمَانُ الَّذِي يُمَيَّزُ بِهِ الْمُسْلِمُ مِنَ الْكَافِرِ؛ لِأَنَّهُ تَصْدِيقٌ مُجَرَّدٌ لِلَّهِ وَرُسُلِهِ، فَالْمُؤْمِنُ يُؤْمِنُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ أَوْ أَخْبَرَ بِهِ رَسُولَهُ؛ سَوَاءٌ شَاهَدَهُ أَوْ لَمْ يُشَاهِدْهُ، وَسَوَاءٌ فَهِمَهُ وَعَقَلَهُ أَوْ لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهِ عَقْلُهُ وَفَهْمُهُ، بِخِلَافِ الزَّنَادِقَةِ

وَالْمُكَذِّبِينَ بِالْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ؛ لِأَنَّ عُقُولَهُمُ الْقَاصِرَةَ الْمُقَصِّرَةَ لَمْ تَهْتَدِ إِلَيْهَا، فَكَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ، فَفَسَدَتْ عُقُولُهُمْ، وَمَرَجَتْ أَحْلَامُهُمْ، وَزُكَّتْ عُقُولُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِينَ الْمُهْتَدِينَ بِهُدَىٰ اللهِ.

وَيَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ مِنَ الْغُيُوبِ الْمَاضِيَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ، وَأَحْوَالِ الْآخِرَةِ، وَحَقَائِقِ أَوْصَافِ اللهِ وَكَيْفِيَّتِهَا، وَمَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيُؤْمِنُونَ بِصِفَاتِ اللهِ وَوُجُودِهَا، وَيَتَيَقَّنُونَهَا وَإِنْ لَمْ يَفْهَمُوا كَيْفِيَّتَهَا.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لَمْ يَقُلْ: يَفْعَلُونَ الصَّلَاةَ، أَوْ يَأْتُونَ بِالصَّلَاةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكْفِي فِيهَا مُجَرَّدُ الْإِتْيَانِ بِصُورَتِهَا الظَّاهِرَةِ، فَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ: إِقَامَتُهَا ظَاهِرًا بِإِتْمَامِ أَرْكَانِهَا، وَوَاجِبَاتِهَا، وَشُرُوطِهَا، وَإِقَامَتُهَا بَاطِنًا بِإِقَامَةِ رُوحِهَا، وَهُوَ حُضُورُ الْقَلْبِ فِيهَا، وَتَدَبُّرُ مَا يَقُولُهُ وَيَفْعَلُهُ مِنْهَا، فَهَذِهِ الصَّلَاةُ هِيَ الَّتِي قَالَ اللهُ فِيهَا: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾، وَهِيَ الَّتِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا الثَّوَابُ، فَلَا ثَوَابَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا، وَيَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ فَرَائِضُهَا وَنَوَافِلُهَا.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾: يَدْخُلُ فِيهِ النَّفَقَاتُ الْوَاجِبَةُ؛ كَالزَّكَاةِ، وَالنَّفَقَةِ عَلَىٰ الزَّوْجَاتِ، وَالْأَقَارِبِ، وَالْمَمَالِيكِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَالنَّفَقَاتُ الْمُسْتَحَبَّةُ بِجَمِيعِ طُرُقِ الْخَيْرِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْمُنْفَقَ عَلَيْهِمْ؛ لِكَثْرَةِ أَسْبَابِهِ، وَتَنَوُّعِ أَهْلِهِ، وَلِأَنَّ النَّفَقَةَ مِنْ حَيْثُ هِيَ قُرْبَةٌ إِلَىٰ اللهِ، وَأَتَىٰ بِـ (مِنْ) الدَّالَّةِ عَلَىٰ التَّبْعِيضِ؛

لِيُنَبِّهَهُمْ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ مِنْهُمْ إِلَّا جُزْءًا يَسِيرًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ، غَيْرَ ضَارٍّ لَهُمْ وَلَا مُثْقِلٍ، بَلْ يَنْتَفِعُونَ هُمْ بِإِنْفَاقِهِ، وَيَنْتَفِعُ بِهِ إِخْوَانُهُمْ.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿رَزَقْنَٰهُمْ﴾ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ هَذِهِ الْأَمْوَالَ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ لَيْسَتْ حَاصِلَةً بِقُوَّتِكُمْ وَمِلْكِكُمْ، وَإِنَّمَا هِيَ رِزْقُ اللهِ الَّذِي خَوَّلَكُمْ وَأَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ، فَكَمَا أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ وَفَضَّلَكُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ فَاشْكُرُوهُ بِإِخْرَاجِ بَعْضِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ، وَوَاسُوا إِخْوَانَكُمُ الْمُعْدَمِينَ.

وَكَثِيرًا مَا يَجْمَعُ -تَعَالَىٰ- بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فِي الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلْإِخْلَاصِ لِلْمَعْبُودِ، وَالزَّكَاةَ وَالنَّفَقَةَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلْإِحْسَانِ عَلَىٰ عَبِيدِهِ، فَعُنْوَانُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ: إِخْلَاصُهُ لِلْمَعْبُودِ، وَسَعْيُهُ فِي نَفْعِ الْخَلْقِ، كَمَا أَنَّ عُنْوَانَ شَقَاوَةِ الْعَبْدِ: عَدَمُ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ مِنْهُ، فَلَا إِخْلَاصَ وَلَا إِحْسَانَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: وَهُوَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، فَالْمُتَّقُونَ يُؤْمِنُونَ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَلَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ، فَيُؤْمِنُونَ بِبَعْضِهِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِبَعْضِهِ، إِمَّا بِجَحْدِهِ، أَوْ تَأْوِيلِهِ عَلَىٰ غَيْرِ مُرَادِ اللهِ وَرَسُولِهِ، كَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ يَفْعَلُهُ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ الَّذِينَ يُؤَوِّلُونَ النُّصُوصَ الدَّالَّةَ عَلَىٰ خِلَافِ قَوْلِهِمْ بِمَا حَاصِلُهُ عَدَمُ التَّصْدِيقِ بِمَعْنَاهَا؛ وَإِنْ صَدَّقُوا بِلَفْظِهَا فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا إِيمَانًا حَقِيقِيًّا.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: يَشْمَلُ الْإِيمَانَ بِالْكُتُبِ السَّابِقَةِ، وَيَتَضَمَّنُ الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ الْإِيمَانَ بِالرُّسُلِ وَبِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ، خُصُوصًا التَّوْرَاةَ، وَالْإِنْجِيلَ،

وَالزَّبُورَ، وَهَذِهِ خَاصِّيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ، يُؤْمِنُونَ بِجَمِيعِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، وَبِجَمِيعِ الرُّسُلِ، فَلَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤﴾ وَالْآخِرَةُ: اسْمٌ لِمَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَخَصَّهُ بِالذِّكْرِ بَعْدَ الْعُمُومِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَلِأَنَّهُ أَعْظَمُ بَاعِثٍ عَلَىٰ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالْعَمَلِ، وَالْيَقِينُ: هُوَ الْعِلْمُ التَّامُّ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ أَدْنَىٰ شَكٍّ، الْمُوجِبُ لِلْعَمَلِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أَيِ: الْمَوْصُوفُونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ ﴿عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ أَيْ: عَلَىٰ هُدًىٰ عَظِيمٍ؛ لِأَنَّ التَّنْكِيرَ لِلتَّعْظِيمِ، وَأَيُّ هِدَايَةٍ أَعْظَمُ مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ، الْمُتَضَمِّنَةِ لِلْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَالْأَعْمَالِ الْمُسْتَقِيمَةِ، وَهَلِ الْهِدَايَةُ الْحَقِيقِيَّةُ إِلَّا هِدَايَتُهُمْ، وَمَا سِوَاهَا مِمَّا خَالَفَهَا فَهُوَ ضَلَالَةٌ.

وَأَتَىٰ بِـ(عَلَىٰ) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ الِاسْتِعْلَاءِ، وَفِي الضَّلَالَةِ يَأْتِي بِـ(فِي) كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾؛ لِأَنَّ صَاحِبَ الْهُدَىٰ مُسْتَعْلٍ بِالْهُدَىٰ مُرْتَفِعٌ بِهِ، وَصَاحِبَ الضَّلَالِ مُنْغَمِسٌ فِيهِ مُحْتَقَرٌ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾: وَالْفَلَاحُ هُوَ الْفَوْزُ بِالْمَطْلُوبِ، وَالنَّجَاةُ مِنَ الْمَرْهُوبِ، حَصَرَ الْفَلَاحَ فِيهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَىٰ الْفَلَاحِ إِلَّا بِسُلُوكِ سَبِيلِهِمْ، وَمَا عَدَا تِلْكَ السَّبِيلِ فَهِيَ سُبُلُ الشَّقَاءِ وَالْهَلَاكِ وَالْخَسَارِ الَّتِي تُفْضِي بِسَالِكِهَا إِلَىٰ الْهَلَاكِ»[1].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٢٩-٣٠).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

«﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ أَيْ: لَيْسَ هَذَا هُوَ الْبِرَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْعِبَادِ، فَيَكُونُ كَثْرَةُ الْبَحْثِ فِيهِ وَالْجِدَالِ مِنَ الْعَنَاءِ الَّذِي لَيْسَ تَحْتَهُ إِلَّا الشِّقَاقُ وَالْخِلَافُ، وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِهِ ﷺ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ أَيْ: بِأَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ مَوْصُوفٌ بِكُلِّ صِفَةِ كَمَالٍ، مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: وَهُوَ كُلُّ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، أَوْ أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ لَنَا فِي كِتَابِهِ، وَوَصَفَهُمْ رَسُولُهُ ﷺ، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ أَيْ: جِنْسِ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ، وَأَعْظَمُهَا الْقُرْآنُ، فَيُؤْمِنُ بِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْأَحْكَامِ، وَالنَّبِيِّينَ عُمُومًا؛ وخُصُوصًا خَاتَمَهُمْ وَأَفْضَلَهُمْ مُحَمَّدًا ﷺ.

﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾: وَهُوَ كُلُّ مَا يَتَمَوَّلُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ مَالٍ؛ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا، أَيْ: أَعْطَىٰ الْمَالَ ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أَيْ: حُبِّ الْمَالِ، بَيَّنَ بِهِ أَنَّ الْمَالَ مَحْبُوبٌ لِلنُّفُوسِ، فَلَا يَكَادُ يُخْرِجُهُ الْعَبْدُ، فَمَنْ أَخْرَجَهُ مَعَ حُبِّهِ لَهُ تَقَرُّبًا إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ كَانَ هَذَا بُرْهَانًا لِإِيمَانِهِ، وَمِنْ إِيتَاءِ الْمَالِ عَلَىٰ حُبِّهِ: أَنْ يَتَصَدَّقَ وَهُوَ صَحِيحٌ

شَحِيحٌ، يَأْمُلُ الْغِنَىٰ، وَيَخْشَىٰ الْفَقْرَ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَتِ الصَّدَقَةُ عَنْ قِلَّةٍ كَانَتْ أَفْضَلَ؛ لِأَنَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ يُحِبُّ إِمْسَاكَهُ؛ لِمَا يَتَوَهَّمُهُ مِنَ الْعُدْمِ وَالْفَقْرِ، وَكَذَلِكَ إِخْرَاجُ النَّفِيسِ مِنَ الْمَالِ وَمَا يُحِبُّهُ مِنْ مَالِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ [آل عمران:٩٢] فَكُلُّ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ آثَرَ الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُنْفَقَ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِبِرِّكَ وَإِحْسَانِكَ مِنَ الْأَقَارِبِ الَّذِينَ تَتَوَجَّعُ لِمُصَابِهِمْ، وَتَفْرَحُ بِسُرُورِهِمْ، الَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ وَيَتَعَاقَلُونَ؛ فَمِنْ أَحْسَنِ الْبِرِّ وَأَوْفَقِهِ: تَعَاهُدُ الْأَقَارِبِ بِالْإِحْسَانِ الْمَالِيِّ وَالْقَوْلِيِّ عَلَىٰ حَسَبِ قُرْبِهِمْ وَحَاجَتِهِمْ.

وَمِنَ الْيَتَامَىٰ الَّذِينَ لَا كَاسِبَ لَهُمْ، وَلَيْسَ لَهُمْ قُوَّةٌ يَسْتَغْنُونَ بِهَا، وَهَذَا مِنْ رَحْمَتِهِ تَعَالَىٰ بِالْعِبَادِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ أَنَّهُ -تَعَالَىٰ- أَرْحَمُ بِهِمْ مِنَ الْوَالِدِ بِوَلَدِهِ، فَاللهُ قَدْ أَوْصَىٰ الْعِبَادَ وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمُ الْإِحْسَانَ إِلَىٰ مَنْ فُقِدَ آبَاؤُهُمْ؛ لِيَصِيرُوا كَمَنْ لَمْ يَفْقِدْ وَالِدَيْهِ، وَلِأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ؛ فَمَنْ رَحِمَ يَتِيمَ غَيْرِهِ رُحِمَ يَتِيمُهُ.

﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾: وَهُمُ الَّذِينَ أَسْكَنَتْهُمُ الْحَاجَةُ، وَأَذَلَّهُمُ الْفَقْرُ، فَلَهُمْ حَقٌّ عَلَىٰ الْأَغْنِيَاءِ بِمَا يَدْفَعُ مَسْكَنَتَهُمْ، أَوْ يُخَفِّفُهَا، بِمَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ وَبِمَا يَتَيَسَّرُ، ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: وَهُوَ الْغَرِيبُ الْمُنْقَطِعُ بِهِ فِي غَيْرِ بَلَدِهِ، فَحَثَّ اللهُ عِبَادَهُ عَلَىٰ إِعْطَائِهِ مِنَ الْمَالِ مَا يُعِينُهُ عَلَىٰ سَفَرِهِ؛ لِكَوْنِهِ مَظِنَّةَ الْحَاجَةِ وَكَثْرَةِ الْمَصَارِفِ.

فَعَلَىٰ مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ بِوَطَنِهِ وَرَاحَتِهِ، وَخَوَّلَهُ مِنْ نِعْمَتِهِ أَنْ يَرْحَمَ أَخَاهُ الْغَرِيبَ الَّذِي بِهَذِهِ الصِّفَةِ عَلَىٰ حَسَبِ اسْتِطَاعَتِهِ؛ وَلَوْ بِتَزْوِيدِهِ، أَوْ إِعْطَائِهِ آلَةً لِسَفَرِهِ، أَوْ دَفْعِ مَا يَنُوبُهُ مِنَ الْمَظَالِمِ وَغَيْرِهَا.

﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ أَيِ: الَّذِينَ تَعْرِضُ لَهُمْ حَاجَةٌ مِنَ الْحَوَائِجِ تُوجِبُ السُّؤَالَ؛ كَمَنِ ابْتُلِيَ بِأَرْشِ جِنَايَةٍ، أَوْ ضَرِيبَةٍ عَلَيْهِ مِنْ وُلَاةِ الْأُمُورِ، أَوْ يَسْأَلُ النَّاسَ لِتَعْمِيرِ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ؛ كَالْمَسَاجِدِ، وَالْمَدَارِسِ، وَالْقَنَاطِرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا لَهُ حَقٌّ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا.

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾: فَيَدْخُلُ فِيهِ الْعِتْقُ، وَالْإِعَانَةُ عَلَيْهِ، وَبَذْلُ مَالٍ لِلْمُكَاتَبِ لِيُوَفِّيَ سَيِّدَهُ، وَفِدَاءُ الْأَسْرَىٰ عِنْدَ الْكُفَّارِ أَوْ عِنْدَ الظَّلَمَةِ.

﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾: اللهُ -تَعَالَىٰ- يَقْرِنُ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ؛ لِكَوْنِهِمَا أَفْضَلَ الْعِبَادَاتِ وَأَكْمَلَ الْقُرُبَاتِ، عِبَادَاتٍ قَلْبِيَّةٍ وَبَدَنِيَّةٍ وَمَالِيَّةٍ، وَبِهِمَا يُوزَنُ الْإِيمَانُ، وَيُعْرَفُ مَا مَعَ صَاحِبِهِ مِنَ الْإِيقَانِ.

﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ وَالْعَهْدُ: هُوَ الِالْتِزَامُ بِإِلْزَامِ اللهِ أَوْ إِلْزَامِ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ، فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ حُقُوقُ اللهِ كُلُّهَا؛ لِكَوْنِ اللهِ أَلْزَمَ بِهَا عِبَادَهُ وَالْتَزَمُوهَا، وَدَخَلُوا تَحْتَ عُهْدَتِهَا، وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ أَدَاؤُهَا، وَحُقُوقُ الْعِبَادِ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ، وَالْحُقُوقُ الَّتِي الْتَزَمَهَا الْعَبْدُ؛ كَالْأَيْمَانِ، وَالنُّذُورِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾ أَيِ: الْفَقْرِ؛ لِأَنَّ الْفَقِيرَ يَحْتَاجُ إِلَىٰ الصَّبْرِ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ؛ لِكَوْنِهِ يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْآلَامِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ الْمُسْتَمِرَّةِ مَا لَا يَحْصُلُ لِغَيْرِهِ، فَإِنْ تَنَعَّمَ الْأَغْنِيَاءُ بِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ تَأَلَّمَ، وَإِنْ جَاعَ أَوْ جَاعَتْ عِيَالُهُ تَأَلَّمَ، وَإِنْ أَكَلَ طَعَامًا غَيْرَ مُوَافِقٍ لِهَوَاهُ تَأَلَّمَ، وَإِنْ عُرِّيَ أَوْ كَادَ تَأَلَّمَ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَىٰ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَا يَتَوَهَّمُهُ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ الَّذِي يَسْتَعِدُّ لَهُ تَأَلَّمَ، وَإِنْ أَصَابَهُ

الْبَرْدُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ دَفْعِهِ تَأَلَّمَ؛ فَكُلُّ هَذِهِ وَنَحْوِهَا مَصَائِبُ يُؤْمَرُ بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا، وَالِاحْتِسَابِ، وَرَجَاءِ الثَّوَابِ مِنَ اللهِ عَلَيْهَا.

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ أَيِ: الْمَرَضِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ؛ مِنْ حُمَّىٰ، وَقُرُوحٍ، وَرِيَاحٍ، وَوَجَعِ عُضْوٍ؛ حَتَّىٰ الضِّرْسِ، وَالْإِصْبَعِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ يُحْتَاجُ إِلَىٰ الصَّبْرِ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ تَضْعُفُ، وَالْبَدَنَ يَأْلَمُ، وَذَلِكَ فِي غَايَةِ الْمَشَقَّةِ عَلَىٰ النُّفُوسِ؛ خُصُوصًا مَعَ تَطَاوُلِ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يُؤْمَرُ بِالصَّبْرِ احْتِسَابًا لِثَوَابِ اللهِ -تَعَالَىٰ-.

﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ أَيْ: وَقْتَ الْقِتَالِ لِلْأَعْدَاءِ الْمَأْمُورِ بِقِتَالِهِمْ؛ لِأَنَّ الْجِلَادَ يَشُقُّ غَايَةَ الْمَشَقَّةِ عَلَىٰ النَّفْسِ، وَيَجْزَعُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْقَتْلِ، أَوِ الْجِرَاحِ، أَوِ الْأَسْرِ، فَاحْتِيجَ إِلَىٰ الصَّبْرِ فِي ذَلِكَ احْتِسَابًا وَرَجَاءً لِثَوَابِ اللهِ -تَعَالَىٰ- الَّذِي مِنْهُ النَّصْرُ وَالْمَعُونَةُ الَّتِي وَعَدَهَا الصَّابِرِينَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أَيِ: الْمُتَّصِفُونَ بِمَا ذَكَرَ مِنَ الْعَقَائِدِ الْحَسَنَةِ، وَالْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ آثَارُ الْإِيمَانِ وَبُرْهَانُهُ وَنُورُهُ، وَالْأَخْلَاقِ الَّتِي هِيَ جَمَالُ الْإِنْسَانِ وَحَقِيقَةُ الْإِنْسَانِيَّةِ؛ فَأُولَئِكَ هُمُ ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ فِي إِيمَانِهِمْ؛ لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ صَدَّقَتْ إِيمَانَهُمْ، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾؛ لِأَنَّهُمْ تَرَكُوا الْمَحْظُورَ، وَفَعَلُوا الْمَأْمُورَ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَىٰ كُلِّ خِصَالِ الْخَيْرِ تَضَمُّنًا وَلُزُومًا؛ لِأَنَّ الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ يَدْخُلُ فِيهِ الدِّينُ كُلُّهُ، وَلِأَنَّ الْعِبَادَاتِ الْمَنْصُوصَ عَلَيْهَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَكْبَرُ الْعِبَادَاتِ، وَمَنْ قَامَ بِهَا كَانَ بِمَا سِوَاهَا أَقْوَمَ؛ فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْأَبْرَارُ الصَّادِقُونَ الْمُتَّقُونَ.

وَقَدْ عُلِمَ مَا رَتَّبَ اللهُ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الثَّوَابِ الدُّنْيَوِيِّ وَالْأُخْرَوِيِّ مِمَّا لَا يُمْكِنُ تَفْصِيلُهُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ»(١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥-١٧].

«**أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ- أَنَّ الْمُتَّقِينَ لِلَّهِ الْقَائِمِينَ بِعُبُودِيَّتِهِ لَهُمْ خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ اللَّذَّاتِ،** فَلَهُمْ أَصْنَافُ الْخَيْرَاتِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، وَلَهُمْ رِضْوَانُ اللهِ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَهُمُ الْأَزْوَاجُ الْمُطَهَّرَةُ مِنْ كُلِّ آفَةٍ وَنَقْصٍ، جَمِيلَاتُ الْأَخْلَاقِ، كَامِلَاتُ الْخَلَائِقِ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ يَسْتَلْزِمُ ضِدَّهُ، فَتَطْهِيرُهَا مِنَ الْآفَاتِ مُسْتَلْزِمٌ لِوَصْفِهَا بِالْكَمَالَاتِ، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾: فَيُيَسِّرُ كُلًّا مِنْهُمْ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسِّرُهُمْ لِلْعَمَلِ لِهَذِهِ الدَّارِ الْبَاقِيَةِ، وَيَأْخُذُونَ مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا يُعِينُهُمْ عَلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ وَالْإِعْرَاضِ فَيُقَيِّضُهُمْ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، وَيَرْضَوْنَ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَطْمَئِنُّونَ بِهَا، وَيَتَّخِذُونَهَا قَرَارًا.

هَؤُلَاءِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ -أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ- يَتَوَسَّلُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٨٠-٨١).

بِإِيمَانِهِمْ؛ لِمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِمْ، وَوِقَايَتِهِمْ عَذَابَ النَّارِ، وَهَذَا مِنَ الْوَسَائِلِ الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ؛ أَنْ يَتَوَسَّلَ الْعَبْدُ إِلَىٰ رَبِّهِ بِمَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ إِلَىٰ تَكْمِيلِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ بِحُصُولِ الثَّوَابِ الْكَامِلِ، وَانْدِفَاعِ الْعِقَابِ.

ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِأَجْمَلِ الصِّفَاتِ: بِالصَّبْرِ الَّذِي هُوَ حَبْسُ النُّفُوسِ عَلَىٰ مَا يُحِبُّهُ اللهُ؛ طَلَبًا لِمَرْضَاتِهِ، يَصْبِرُونَ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَيَصْبِرُونَ عَنْ مَعَاصِيهِ، وَيَصْبِرُونَ عَلَىٰ أَقْدَارِهِ الْمُؤْلِمَةِ، وَبِالصِّدْقِ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ، وَهُوَ اسْتِوَاءُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَصِدْقُ الْعَزِيمَةِ عَلَىٰ سُلُوكِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَبِالْقُنُوتِ الَّذِي هُوَ دَوَامُ الطَّاعَةِ مَعَ مُصَاحَبَةِ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ، وَبِالنَّفَقَاتِ فِي سَبِيلِ الْخَيْرَاتِ وَعَلَىٰ الْفُقَرَاءِ وَأَهْلِ الْحَاجَاتِ، وَبِالِاسْتِغْفَارِ خُصُوصًا وَقْتَ الْأَسْحَارِ؛ فَإِنَّهُمْ مَدُّوا الصَّلَاةَ إِلَىٰ وَقْتِ السَّحَرِ، فَجَلَسُوا يَسْتَغْفِرُونَ اللهَ -تَعَالَىٰ-»[1].

وَقَالَ -تَعَالَىٰ- ذَاكِرًا جُمْلَةً عَظِيمَةً مِنْ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٢٨-١٢٩).

«وَصَفَ الْمُتَّقِينَ وَأَعْمَالَهُمْ فَقَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ أَيْ: فِي حَالِ عُسْرِهِمْ وَيُسْرِهِمْ، إِنْ أَيْسَرُوا أَكْثَرُوا مِنَ النَّفَقَةِ، وَإِنْ أَعْسَرُوا لَمْ يَحْتَقِرُوا مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ قَلَّ.

﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ أَيْ: إِذَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ أَذِيَّةٌ تُوجِبُ غَيْظَهُمْ -وَهُوَ امْتِلَاءُ قُلُوبِهِمْ مِنَ الْحَنَقِ الْمُوجِبِ لِلِانْتِقَامِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ-؛ هَؤُلَاءِ لَا يَعْمَلُونَ بِمُقْتَضَىٰ الطِّبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ، بَلْ يَكْظِمُونَ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْغَيْظِ، وَيَصْبِرُونَ عَنْ مُقَابَلَةِ الْمُسِيءِ إِلَيْهِمْ.

﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾: يَدْخُلُ فِي الْعَفْوِ عَنِ النَّاسِ الْعَفْوُ عَنْ كُلِّ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، وَالْعَفْوُ أَبْلَغُ مِنَ الْكَظْمِ؛ لِأَنَّ الْعَفْوَ تَرْكُ الْمُؤَاخَذَةِ مَعَ السَّمَاحَةِ عَنِ الْمُسِيءِ، وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ مِمَّنْ تَحَلَّىٰ بِالْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ، وَتَخَلَّىٰ عَنِ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَمِمَّنْ تَاجَرَ مَعَ اللهِ، وَعَفَا عَنْ عِبَادِ اللهِ رَحْمَةً بِهِمْ، وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ، وَكَرَاهَةً لِحُصُولِ الشَّرِّ عَلَيْهِمْ، وَلِيَعْفُوَ اللهُ عَنْهُ، وَيَكُونَ أَجْرُهُ عَلَىٰ رَبِّهِ الْكَرِيمِ، لَا عَلَىٰ الْعَبْدِ الْفَقِيرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

ثُمَّ ذَكَرَ حَالَةً أَعَمَّ مِنْ غَيْرِهَا، وَأَحْسَنَ وَأَعْلَىٰ وَأَجَلَّ؛ وَهِيَ الْإِحْسَانُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾: وَالْإِحْسَانُ نَوْعَانِ: الْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ، وَالْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْمَخْلُوقِ.

فَالْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ فَسَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠) واللفظ له، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَأَمَّا الْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْمَخْلُوقِ؛ فَهُوَ إِيصَالُ النَّفْعِ الدِّينِيِّ وَالدُّنْيَوِيِّ إِلَيْهِمْ، وَدَفْعُ الشَّرِّ الدِّينِيِّ وَالدُّنْيَوِيِّ عَنْهُمْ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ أَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلِيمُ جَاهِلِهِمْ، وَوَعْظُ غَافِلِهِمْ، وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّتِهِمْ وَخَاصَّتِهِمْ، وَالسَّعْيُ فِي جَمْعِ كَلِمَتِهِمْ، وَإِيصَالُ الصَّدَقَاتِ وَالنَّفَقَاتِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ اخْتِلَافِ أَحْوَالِهِمْ وَتَبَايُنِ أَوْصَافِهِمْ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ بَذْلُ النَّدَىٰ، وَكَفُّ الْأَذَىٰ، وَاحْتِمَالُ الْأَذَىٰ، كَمَا وَصَفَ اللهُ بِهِ الْمُتَّقِينَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، فَمَنْ قَامَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ فَقَدْ قَامَ بِحَقِّ اللهِ وَحَقِّ عَبِيدِهِ.

ثُمَّ ذَكَرَ اعْتِذَارَهُمْ لِرَبِّهِمْ مِنْ جِنَايَاتِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ فَقَالَ: ﴿**وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ**﴾ أَيْ: صَدَرَ مِنْهُمْ أَعْمَالٌ سَيِّئَةٌ كَبِيرَةٌ أَوْ مَا دُونَ ذَلِكَ؛ بَادَرُوا إِلَىٰ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَذَكَرُوا رَبَّهُمْ وَمَا تَوَعَّدَ بِهِ الْعَاصِينَ، وَوَعَدَ بِهِ الْمُتَّقِينَ، فَسَأَلُوهُ الْمَغْفِرَةَ لِذُنُوبِهِمْ، وَالسَّتْرَ لِعُيُوبِهِمْ، مَعَ إِقْلَاعِهِمْ عَنْهَا، وَنَدَمِهِمْ عَلَيْهَا؛ فَلِهَذَا قَالَ: ﴿**وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾**﴾.

﴿**أُو۟لَٰٓئِكَ**﴾ الْمَوْصُوفُونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ ﴿**جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ**﴾: تُزِيلُ عَنْهُمْ كُلَّ مَحْذُورٍ ﴿**وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ**﴾ فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَالْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ وَالْبَهَاءِ، وَالْخَيْرِ وَالسُّرُورِ، وَالْقُصُورِ وَالْمَنَازِلِ الْأَنِيقَةِ الْعَالِيَاتِ، وَالْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ الْبَهِيَّةِ، وَالْأَنْهَارِ الْجَارِيَاتِ فِي تِلْكَ الْمَسَاكِنِ الطَّيِّبَاتِ، ﴿**خَٰلِدِينَ فِيهَا**﴾: لَا يُحَوَّلُونَ عَنْهَا، وَلَا يَبْغُونَ بِهَا بَدَلًا، وَلَا يُغَيَّرُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، ﴿**وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾**﴾: عَمِلُوا لِلَّهِ قَلِيلًا فَأُجِرُوا كَثِيرًا؛ فَـ(عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَىٰ)، وَعِنْدَ الْجَزَاءِ يَجِدُ الْعَامِلُ أَجْرَهُ كَامِلًا مُوَفَّرًا.

وَهَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ مِنْ أَدِلَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَىٰ أَنَّ الْأَعْمَالَ تَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ؛ خِلَافًا لِلْمُرْجِئَةِ، وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ إِنَّمَا يَتِمُّ بِذِكْرِ الْآيَةِ الَّتِي فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ نَظِيرَ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾، فَلَمْ يُذْكَرْ فِيهَا إِلَّا لَفْظُ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرُسُلِهِ، وَهُنَا قَالَ: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾: ثُمَّ وَصَفَ الْمُتَّقِينَ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ الْمَالِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ الْمَوْصُوفِينَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ هُمْ أُولَئِكَ الْمُؤْمِنُونَ»(١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج: ٣٢].

«أَيْ: ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرْنَا لَكُمْ مِنْ تَعْظِيمِ حُرُمَاتِهِ وَشَعَائِرِهِ، وَالْمُرَادُ بِالشَّعَائِرِ: أَعْلَامُ الدِّينِ الظَّاهِرَةُ، وَمِنْهَا: الْمَنَاسِكُ كُلُّهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾، وَمِنْهَا: الْهَدَايَا وَالْقُرْبَانُ لِلْبَيْتِ، وَمَعْنَىٰ تَعْظِيمِهَا: إِجْلَالُهَا وَالْقِيَامُ بِهَا، وَتَكْمِيلُهَا عَلَىٰ أَكْمَلِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ، وَمِنْهَا: الْهَدَايَا، فَتَعْظِيمُهَا بِاسْتِحْسَانِهَا وَاسْتِسْمَانِهَا، وَأَنْ تَكُونَ مُكَمَّلَةً مِنْ كُلِّ وَجْهٍ؛ فَتَعْظِيمُ شَعَائِرِ اللهِ صَادِرٌ مِنْ تَقْوَىٰ الْقُلُوبِ، فَالْمُعَظِّمُ لَهَا يُبَرْهِنُ عَلَىٰ تَقْوَاهُ وَصِحَّةِ إِيمَانِهِ؛ لِأَنَّ تَعْظِيمَهَا تَابِعٌ لِتَعْظِيمِ اللهِ وَإِجْلَالِهِ»(٢).

❀❀❀

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٥٧).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٦٢٨).

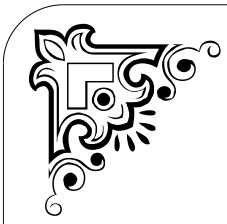

التَّقْوَى مِيزَانُ الْخَلَائِقِ عِنْدَ اللهِ

التَّقْوَىٰ هِيَ الْمِيزَانُ الَّذِي يَزِنُ اللهُ ﷻ بِهِ الْخَلَائِقَ، عَلَىٰ قَدْرِ التَّقْوَىٰ يُعْطِي اللهُ وَيَمْنَعُ، وَعَلَىٰ قَدْرِ التَّقْوَىٰ يَرْفَعُ اللهُ وَيَضَعُ.

يَقُولُ اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

«الْكَرَمُ بِالتَّقْوَىٰ، فَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاهُمْ، وَهُوَ أَكْثَرُهُمْ طَاعَةً وَانْكِفَافًا عَنِ الْمَعَاصِي، لَا أَكْثَرُهُمْ قَرَابَةً وَقَوْمًا، وَلَا أَشْرَفُهُمْ نَسَبًا؛ وَلَكِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- عَلِيمٌ خَبِيرٌ، يَعْلَمُ مَنْ يَقُومُ مِنْهُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مِمَّنْ يَقُومُ بِذَلِكَ ظَاهِرًا لَا بَاطِنًا، فَيُجَازِي كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّ.»(١).

فَبَيَّنَ لَنَا رَبُّنَا ﷻ أَنَّ الْمِيزَانَ الَّذِي يَزِنُ بِهِ الْعِبَادَ، وَالَّذِي يَرْتَفِعُ بِهِ الْعَبْدُ عِنْدَ رَبِّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- إِنَّمَا هُوَ هَذِهِ الْخَصْلَةُ.(*).

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٩٤٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «مَقَامُ التَّقْوَىٰ».

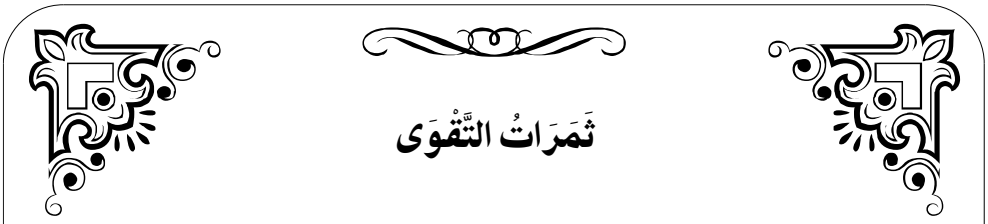

ثَمَرَاتُ التَّقْوَى

لَقَدْ بَيَّنَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ أَنَّ تَقْوَىٰ اللهِ جَلَّ وَعَلَا تُؤَدِّي إِلَىٰ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَتَحْجُبُ الشَّرَّ كُلَّهُ.

يَقُولُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤﴾ [الطلاق: ٤].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾ [الطلاق: ٥]. (*).

* **التَّقْوَى هِيَ عُنْوَانُ الْفَلَاحِ وَالسَّعَادَةِ دُنْيَا وَآخِرَةً، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢٩﴾ [الأنفال: ٢٩].

قَالَ الشَّيْخُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (٢): «امْتِثَالُ الْعَبْدِ لِتَقْوَىٰ رَبِّهِ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ» - الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢١هـ| ٢-٦-٢٠٠٠م.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٣٦٢).

وَعَلَامَةُ الْفَلَاحِ، وَقَدْ رَتَّبَ اللهُ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ شَيْئًا كَثِيرًا، فَذَكَرَ هُنَا أَنَّ مَنِ اتَّقَىٰ اللهَ حَصَلَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا:

الْأَوَّلُ: الْفُرْقَانُ: وَهُوَ الْعِلْمُ وَالْهُدَىٰ الَّذِي يُفَرِّقُ بِهِ صَاحِبُهُ بَيْنَ الْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَأَهْلِ السَّعَادَةِ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ.

الثَّانِي وَالثَّالِثُ: تَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ، وَمَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا دَاخِلٌ فِي الْآخَرِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، وَعِنْدَ الِاجْتِمَاعِ يُفَسَّرُ تَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ بِالذُّنُوبِ الصَّغَائِرِ، وَمَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ بِتَكْفِيرِ الْكَبَائِرِ.

الرَّابِعُ: الْأَجْرُ الْعَظِيمُ وَالثَّوَابُ الْجَزِيلُ لِمَنِ اتَّقَاهُ، وَآثَرَ رِضَاهُ عَلَىٰ هَوَىٰ نَفْسِهِ، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾». (*).

* **وَمِنْ أَعْظَمِ ثَمَرَاتِ التَّقْوَى: الْجَنَّةُ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلْمُتَّقِينَ؛** فَتَقْوَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ- مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، وَالْآيَاتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران:١٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «مِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي وَآثَارِهَا» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ)، الثُّلَاثَاءُ ١٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٨هـ| ٩-٥-٢٠١٧م.

﴿وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣].

«أَمَرَ -تَعَالَىٰ- الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ مَغْفِرَتِهِ، وَإِدْرَاكِ جَنَّتِهِ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؛ فَكَيْفَ بِطُولِهَا؟! الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُتَّقِينَ، فَهُمْ أَهْلُهَا وَأَعْمَالُ التَّقْوَىٰ هِيَ الْمُوَصِّلَةُ إِلَيْهَا»(١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد:٣٥].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحجر:٤٥].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ [الدخان:٥١-٥٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الطور:١٧-٢٠].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٥٧).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٤- ٥٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المرسلات:٤١- ٤٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل:٣٠- ٣٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر:٧٣- ٧٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف:٦٧- ٧٣].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد:١٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [النبأ:٣١- ٣٦].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ».

قَالَ: «**تَقْوَىٰ اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَه، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَرَوَىٰ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: «**تَقْوَىٰ اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «**الْفَمُ وَالْفَرْجُ**»(١).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ صُدَيِّ بْنِ عَجْلَانَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: «**اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ؛ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ**».

قَالَ: **فَقُلْتُ لِأَبِي أُمَامَةَ**: «مُنْذُ كَمْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ هَذَا الْحَدِيثَ؟».

---

(١) تقدم تخريجه.

قَالَ: «سَمِعْتُهُ وَأَنَا ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً»(١). وَالْقَائِلُ هُوَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ الرَّاوِي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه. وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالْحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.(*).

*** وَأَهْلُ النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ هُمُ الْمُتَّقُونَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾** [النمل: ٥٣].

«أَيْ: أَنْجَيْنَا الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَكَانُوا يَتَّقُونَ الشِّرْكَ بِاللهِ وَالْمَعَاصِيَ، وَيَعْمَلُونَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ»(٣).

*** وَمِنْ ثَمَرَاتِ التَّقْوَى وَنَتَائِجِهَا: رَحْمَةُ اللهِ الْخَاصَّةُ الْمُقْتَضِيَةُ لِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾** [الأعراف: ١٥٦].

«﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ﴾: مِنَ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ؛ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، فَلَا مَخْلُوقَ إِلَّا وَقَدْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِ، وَغَمَرَهُ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ؛ وَلَكِنَّ الرَّحْمَةَ الْخَاصَّةَ الْمُقْتَضِيَةَ لِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَيْسَتْ لِكُلِّ أَحَدٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ عَنْهَا: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الْمَعَاصِيَ صِغَارَهَا

---

(١) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُحَاضَرَة: «مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ: تَقْوَىٰ اللهِ ﷻ» - الْأَرْبِعَاءُ ٢٣ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٤٢هـ| ٥-٥-٢٠٢١م.

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٧١١).

وَكِبَارَهَا، ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الْوَاجِبَةَ مُسْتَحِقِّيهَا، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾»(١).

* **وَالْعَاقِبَةُ الْحَمِيدَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِلْمُتَّقِينَ، قَالَ** جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢].

«﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ﴾: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ الَّتِي هِيَ فِعْلُ الْمَأْمُورِ، وَتَرْكُ الْمَنْهِيِّ، فَمَنْ قَامَ بِهَا كَانَ لَهُ الْعَاقِبَةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص:٨٣]»(٢).

* **وَجَعَلَ اللهُ فَلَاحَ الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مُتَوَقِّفًا عَلَى تَقْوَاهُ -سُبْحَانَهُ-، قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠].

«الْفَلَاحُ مُتَوَقِّفٌ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ»(٣).

* **وَمِنْ أَعْظَمِ ثَمَرَاتِ التَّقْوَى: الْفَوْزُ بِمَحَبَّةِ اللهِ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران: ٧٦].

«﴿بَلَىٰ﴾ أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا قَالُوا؛ فَإِنَّهُ ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ﴾ أَيْ: قَامَ بِحُقُوقِ اللهِ وَحُقُوقِ خَلْقِهِ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْمُتَّقِي، وَاللهُ يُحِبُّهُ، أَيْ: وَمَنْ كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ، فَلَمْ يَفِ بِعَهْدِهِ وَعُقُودِهِ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلْقِ، وَلَا قَامَ بِتَقْوَىٰ اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٣٤٥).
(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٦٠٢).
(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٥٦).

يَمْقُتُهُ، وَسَيُجَازِيهِ عَلَىٰ ذَلِكَ أَعْظَمَ النَّكَالِ»(١).

* **وَمِنْ ثَمَرَاتِهَا: الْفَوْزُ بِمَعِيَّةِ اللهِ، وَهِيَ مَعِيَّةُ الْعَوْنِ وَالنَّصْرِ وَالتَّوْفِيقِ، قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [البقرة: ١٩٤].

«أَمَرَ -تَعَالَىٰ- بِلُزُومِ تَقْوَاهُ الَّتِي هِيَ الْوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَعَدَمُ تَجَاوُزِهَا، وَأَخْبَرَ -تَعَالَىٰ- أَنَّهُ مَعَ الْمُتَّقِينَ، أَيْ: بِالْعَوْنِ وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ وَالتَّوْفِيقِ، وَمَنْ كَانَ اللهُ مَعَهُ حَصَلَ لَهُ السَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ، وَمَنْ لَمْ يَلْزَمِ التَّقْوَىٰ تَخَلَّىٰ عَنْهُ وَلِيُّهُ، وَخَذَلَهُ فَوَكَلَهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ، فَصَارَ هَلَاكُهُ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»(٢).

* **وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ بِالْأَمْنِ وَالسَّعَادَةِ وَالْبُشْرَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

«يُخْبِرُ -تَعَالَىٰ- عَنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَحِبَّائِهِ، وَيَذْكُرُ أَعْمَالَهُمْ وَأَوْصَافَهُمْ وَثَوَابَهُمْ فَقَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِمَّا أَمَامَهُمْ مِنَ الْمَخَاوِفِ وَالْأَهْوَالِ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾: عَلَىٰ مَا أَسْلَفُوا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلِفُوا إِلَّا صَالِحَ الْأَعْمَالِ، وَإِذَا كَانُوا لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ؛ ثَبَتَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَالسَّعَادَةُ، وَالْخَيْرُ الْكَثِيرُ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ -تَعَالَىٰ-.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ١٤٢).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٨٧-٨٨).

ثُمَّ ذَكَرَ وَصْفَهُمْ فَقَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَصَدَّقُوا إِيمَانَهُمْ بِاسْتِعْمَالِ التَّقْوَىٰ؛ بِامْتِثَالِ الْأَوَامِرِ، وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي؛ فَكُلُّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا تَقِيًّا كَانَ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ- وَلِيًّا.

وَ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: أَمَّا الْبِشَارَةُ فِي الدُّنْيَا فَهِيَ: الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، وَالْمَوَدَّةُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، وَمَا يَرَاهُ الْعَبْدُ مِنْ لُطْفِ اللهِ بِهِ، وَتَيْسِيرِهِ لِأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ، وَصَرْفِهِ عَنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ.

وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ: فَأَوَّلُهَا الْبِشَارَةُ عِنْدَ قَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت:٣٠]، وَفِي الْقَبْرِ مَا يُبَشَّرُ بِهِ مِنْ رِضَا اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَفِي الْآخِرَةِ تَمَامُ الْبُشْرَىٰ بِدُخُولِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾، بَلْ مَا وَعَدَ اللهُ فَهُوَ حَقٌّ لَا يُمْكِنُ تَغْيِيرُهُ وَلَا تَبْدِيلُهُ؛ لِأَنَّهُ الصَّادِقُ فِي قِيلِهِ، الَّذِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُخَالِفَهُ فِيمَا قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾: لِأَنَّهُ اشْتَمَلَ عَلَىٰ النَّجَاةِ مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ، وَالظَّفَرِ بِكُلِّ مَطْلُوبٍ مَحْبُوبٍ، وَحَصَرَ الْفَوْزَ فِيهِ لِأَنَّهُ لَا فَوْزَ لِغَيْرِ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ.

وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْبُشْرَىٰ شَامِلَةٌ لِكُلِّ خَيْرٍ وَثَوَابٍ رَتَّبَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ؛ وَلِهَذَا أَطْلَقَ ذَلِكَ فَلَمْ يُقَيِّدْهُ»[1].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص: ٤٢٣).

*** وَمِنْ أَعْظَمِ ثَمَرَاتِ التَّقْوَى: رِفْعَةُ الْقَدْرِ وَالْعِزُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَـ**«بِاللهِ عَلَيْكَ يَا مَرْفُوعَ الْقَدْرِ بِالتَّقْوَىٰ! لَا تَبِعْ عِزَّهَا بِذُلِّ الْمَعَاصِي، وَصَابِرْ عَطَشَ الْهَوَىٰ فِي هَجِيرِ(١) الْمُشْتَهَىٰ، وَإِنْ أَمَضَّ(٢) وَأَرْمَضَ(٣)، فَإِذَا بَلَغْتَ النِّهَايَةَ مِنَ الصَّبْرِ فَاحْتَكِمْ وَقُلْ: فَهُوَ مَقَامُ: «مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ».

تَاللهِ! لَوْلَا صَبْرُ عُمَرَ مَا انْبَسَطَتْ يَدُهُ بِضَرْبِ الْأَرْضِ بِالدِّرَّةِ(٤).

بِاللهِ عَلَيْكَ! تَذَوَّقْ حَلَاوَةَ كَفِّ الْكَفِّ عَنِ الْمَنْهِيِّ؛ فَإِنَّهَا شَجَرَةٌ تُثْمِرُ عِزَّ الدُّنْيَا وَشَرَفَ الْآخِرَةِ، وَمَتَىٰ اشْتَدَّ عَطَشُكَ إِلَىٰ مَا تَهْوَىٰ فَابْسُطْ أَنَامِلَ الرَّجَاءِ إِلَىٰ مَنْ عِنْدَهُ الرَّيُّ الْكَامِلُ، وَقُلْ: قَدْ عِيلَ صَبْرُ الطَّبْعِ فِي سِنِيِّهِ الْعِجَافِ، فَعَجِّلْ لِي الْعَامَ الَّذِي فِيهِ أُغَاثُ وَأَعْصِرُ.

بِاللهِ عَلَيْكَ! تَفَكَّرْ فِيمَنْ قَطَعَ أَكْثَرَ الْعُمُرِ فِي التَّقْوَىٰ وَالطَّاعَةِ، ثُمَّ عَرَضَتْ لَهُ فِتْنَةٌ فِي الْوَقْتِ الْأَخِيرِ، كَيْفَ نَطَحَ مَرْكَبُهُ الْجُرُفَ(٥) فَغَرِقَ وَقْتَ الصُّعُودِ!

يَا مَنْ لَا يَصْبِرُ لَحْظَةً عَمَّا يَشْتَهِي! بِاللهِ عَلَيْكَ! أَتَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ؟!!

الرَّجُلُ -وَاللهِ- مَنْ إِذَا خَلَا بِمَا يُحِبُّ مِنَ الْمُحَرَّمِ، وَقَدَرَ عَلَيْهِ، وَتَقَلْقَلَ

---

(١) الهجير: شدة الحر وهو هنا شدة الشهوة.

(٢) أَمَضَّ: آلَمَ.

(٣) أَرْمَضَ: أحرق لشدة حرِّهِ.

(٤) الدِّرَّة: سوط أو عصا لينة للتأديب.

(٥) الجُرُفُ: الساحل الصخري.

عَطَشًا إِلَيْهِ؛ نَظَرَ إِلَىٰ نَظَرِ الْحَقِّ إِلَيْهِ؛ فَاسْتَحَيَا مِنْ إِجَالَةِ هَمِّهِ فِيمَا يَكْرَهُهُ، فَذَهَبَ الْعَطَشُ.

كَأَنَّكَ لَا تَتْرُكُ لَنَا إِلَّا مَا لَا تَشْتَهِي، أَوْ مَا لَا تَصْدُقُ الشَّهْوَةَ فِيهِ، أَوْ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ!

كَذَا -وَاللهِ- عَادَتُكَ! إِذَا تَصَدَّقْتَ أَعْطَيْتَ كِسْرَةً لَا تَصْلُحُ لَكَ، أَوْ فِي جَمَاعَةٍ يَمْدَحُونَكَ!

هَيْهَاتَ وَاللهِ! لَا نِلْتَ وِلَايَتَنَا حَتَّىٰ تَكُونَ مُعَامَلَتُكَ لَنَا خَالِصَةً، تَبْذُلُ أَطَايِبَكَ، وَتَتْرُكُ مُشْتَهَيَاتِكَ، وَتَصْبِرُ عَلَىٰ مَكْرُوهَاتِكَ؛ عِلْمًا مِنْكَ بِأَنَّكَ أَجِيرٌ وَمَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ -أَيْ: لَمْ يَنْتَهِ يَوْمُ الْعَمَلِ لِكَيْ تَسْتَحِقَّ الْأَجْرَ-، فَإِنْ كُنْتَ مُحِبًّا رَأَيْتَ ذَلِكَ قَلِيلًا فِي جَنْبِ رِضَا حَبِيبِكَ عَنْكَ، وَمَا كَلَامُنَا مَعَ الثَّالِثِ -أَيِ: الَّذِي لَيْسَ بِالْمُحِبِّ وَلَا بِالْأَجِيرِ يَعْنِي الْعَاصِيَ-»(١). (*).

* **مِنْ ثَمَرَاتِ التَّقْوَى: طِيبُ الْعَيْشِ، وَالْمَخْرَجُ مِنَ الشِّدَّةِ**، «تَأَمَّلْتُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣]، فَوَجَدْتُهُ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ: أَنَّ كُلَّ مَنِ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِمَا؛ فَقَدْ سَلِمَ مِنَ الضَّلَالِ بِلَا شَكٍّ، وَارْتَفَعَ فِي حَقِّهِ شَقَاءُ الْآخِرَةِ بِلَا شَكٍّ إِذَا مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ شَقَاءُ الدُّنْيَا،

---

(١) «صيد الخاطر» (ص: ١٥٤-١٥٦) لابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «الْمُنْتَقَىٰ مِنْ صَيْدِ الْخَاطِرِ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ» (الْمُحَاضَرَة: ١٢)، الثُّلَاثَاءُ ٢١ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٤١هـ| ١١-٨-٢٠٢٠م.

فَلَا يَشْقَىٰ أَصْلًا، وَيُبَيِّنُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾ [الطلاق: ٢].

فَإِنْ رَأَيْتَهُ فِي شِدَّةٍ فَلَهُ مِنَ الْيَقِينِ بِالْجَزَاءِ مَا يُصَيِّرُ الصَّابَ[١] عِنْدَهُ عَسَلًا؛ وَإِلَّا غَلَبَ طِيبُ الْعَيْشِ فِي كُلِّ حَالٍ، وَالْغَالِبُ أَنَّهُ لَا تَنْزِلُ بِهِ شِدَّةٌ إِلَّا إِذَا انْحَرَفَ عَنْ جَادَّةِ التَّقْوَىٰ، فَأَمَّا الْمُلَازِمُ لِطَرِيقِ التَّقْوَىٰ فَلَا آفَةَ تَطْرُقُهُ، وَلَا بَلِيَّةَ تَنْزِلُ بِهِ، هَذَا هُوَ الْأَغْلَبُ»[٢]. (*).

❀❀❀

(١) الصَّاب: شَجَرٌ له عُصارة شديدة المرارة.

(٢) «صيد الخاطر» (ص: ١٤٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «الْمُنْتَقَىٰ مِنْ صَيْدِ الْخَاطِرِ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ» (الْمُحَاضَرَة: ١٠)، الِاثْنَيْنِ ٢٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٤١هـ| ١٠-٨-٢٠٢٠م.

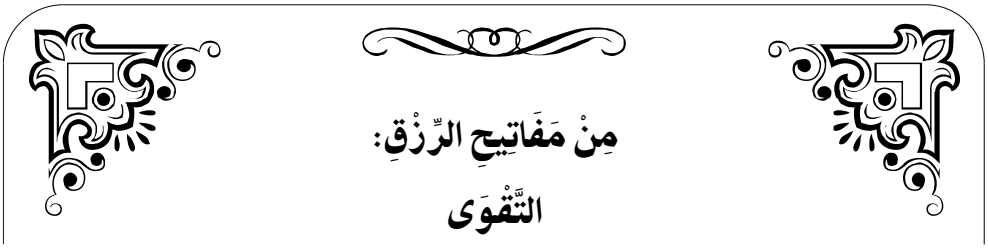

مِنْ مَفَاتِيحِ الرِّزْقِ: التَّقْوَى

مِمَّا يُسْتَنْزَلُ بِهِ الرِّزْقُ: التَّقْوَىٰ.

وَقَدْ بَيَّنَ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ الْمُرَادَ بِالتَّقْوَىٰ، فَعَرَّفَ الْأَصْبَهَانِيُّ التَّقْوَىٰ بِقَوْلِهِ(١): «حِفْظُ النَّفْسِ عَمَّا يُؤَثِّمُ، وَذَلِكَ بِتَرْكِ الْمَحْظُورِ، وَيُتِمُّ ذَلِكَ بِتَرْكِ بَعْضِ الْمُبَاحَاتِ».

وَعَرَّفَ النَّوَوِيُّ التَّقْوَىٰ بِقَوْلِهِ: «امْتِثَالُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَمَعْنَاهُ: الْوِقَايَةُ مِنْ سَخَطِهِ وَعَذَابِهِ ﷻ».

مَنْ لَمْ يَحْفَظْ نَفْسَهُ عَمَّا يُؤَثِّمُ فَلَيْسَ بِمُتَّقٍ؛ مَنْ شَاهَدَ بِعَيْنَيْهِ مَا حَرَّمَ اللهُ -تَعَالَىٰ-، أَوْ سَمِعَ بِأُذُنَيْهِ مَا يُبْغِضُهُ اللهُ -تَعَالَىٰ-، أَوْ بَطَشَ بِيَدَيْهِ مَا لَا يَرْضَاهُ اللهُ -تَعَالَىٰ-، أَوْ مَشَىٰ إِلَىٰ مَا يَمْقُتُهُ اللهُ -تَعَالَىٰ-؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَعْصِمْ نَفْسَهُ مِمَّا يُؤَثِّمُ.

وَمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ -تَعَالَىٰ-، وَارْتَكَبَ مَا نَهَىٰ عَنْهُ؛ فَلَيْسَ مِنَ الْمُتَّقِينَ.

---

(١) «المفردات» (٥٣٠).

وَمَنْ عَرَّضَ بِالْمَعْصِيَةِ نَفْسَهُ لِسَخَطِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَعُقُوبَتِهِ فَقَدْ أَخْرَجَ نَفْسَهُ مِنْ صَفِّ الْمُتَّقِينَ.

وَرَدَتْ عِدَّةُ نُصُوصٍ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ التَّقْوَىٰ مِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ، مِنْهَا:

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

فَبَيَّنَ ﷻ أَنَّ مَنْ تَحَقَّقَ لَدَيْهِ شَرْطُ التَّقْوَىٰ فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- يَجْزِيهِ بِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ أَيْ: يُنْجِيهِ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(١): «يُنْجِيهِ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

الْأَمْرُ الثَّانِي: ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ أَيْ: رَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يُؤَمِّلُ وَلَا يَرْجُو، وَمِنْ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ لَهُ عَلَىٰ بَالٍ أَوْ يَدُورُ لَهُ فِي خَيَالٍ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «أَيْ: وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَتَرْكِ مَا نَهَاهُ عَنْهُ؛ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ مَخْرَجًا، ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ أَيْ: مِنْ جِهَةٍ لَا تَخْطُرُ بِبَالِهِ».

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ أَكْبَرَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَرَجًا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾».

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٣/ ٤٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٦٨).

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ: قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

فَبَيَّنَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّهُ لَوْ تَحَقَّقَ فِي أَهْلِ الْقُرَىٰ أَمْرَانِ، وَهُمَا: الْإِيمَانُ وَالتَّقْوَىٰ؛ لَوَسَّعَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَلَيْهِمُ الْخَيْرَ وَيَسَّرَهُ لَهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ: قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة: ٦٦].

فَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ لَوْ عَمِلُوا بِمَا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ -كَمَا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ- لَأَكْثَرَ -تَعَالَىٰ- بِذَلِكَ الرِّزْقَ النَّازِلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالنَّابِتَ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ[1]: «وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، فَجَعَلَ -تَعَالَىٰ- التُّقَىٰ مِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، وَوَعَدَ بِالْمَزِيدِ لِمَنْ شَكَرَ فَقَالَ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧]».

---

(١) «تفسير القرطبي» (٦/ ٢٤١).

فَكُلُّ مَنْ رَغِبَ فِي السَّعَةِ فِي الرِّزْقِ وَرَغَدِ الْعَيْشِ فَلْيَحْفَظْ نَفْسَهُ مِمَّا يُؤَثِّمُ، وَأَنْ يَمْتَثِلَ أَوَامِرَ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَلْيَجْتَنِبْ نَوَاهِيَهُ، وَلْيَصُنْ نَفْسَهُ عَمَّا تَسْتَحِقُّ بِهِ الْعُقُوبَةَ مِنْ فِعْلِ مُنْكَرٍ أَوْ تَرْكِ مَعْرُوفٍ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «مَفَاتِيحُ الرِّزْقِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ: التَّقْوَىٰ وَالتَّوَكُّلُ وَالتَّفَرُّغُ لِلْعِبَادَةِ)، الِاثْنَيْنِ ٢٢ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٤٣هـ| ٢٣-٥-٢٠٢٢م.

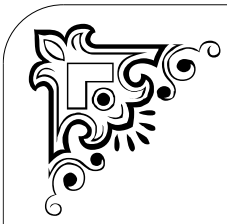

السَّعِيدُ مَنْ لَازَمَ التَّقْوَى

عِبَادَ اللهِ! «اعْلَمُوا أَنَّ الزَّمَانَ لَا يَثْبُتُ عَلَىٰ حَالٍ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

فَتَارَةً فَقْرُ، وَتَارَةً غِنَىٰ، وَتَارَةً عِزٌّ، وَتَارَةً ذُلٌّ، وَتَارَةً يُفْرِحُ الْمَوَالِي، وَتَارَةً يُشْمِتُ الْأَعَادِي.

فَالسَّعِيدُ مَنْ لَازَمَ أَصْلًا وَاحِدًا عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ وَهُوَ تَقْوَىٰ اللهِ ﷻ؛ فَإِنَّهُ إِنِ اسْتَغْنَىٰ زَانَتْهُ، وَإِنِ افْتَقَرَ فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابَ الصَّبْرِ، وَإِنْ عُوفِيَ تَمَّتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِ، وَإِنِ ابْتُلِيَ جَمَّلَتْهُ.

وَلَا يَضُرُّهُ إِنْ نَزَلَ بِهِ الزَّمَانُ أَوْ صَعَدَ، أَوْ أَعْرَاهُ أَوْ أَشْبَعَهُ أَوْ أَجَاعَهُ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ تَزُولُ وَتَتَغَيَّرُ، وَالتَّقْوَىٰ أَصْلُ السَّلَامَةِ، حَارِسٌ لَا يَنَامُ، يَأْخُذُ بِالْيَدِ عِنْدَ الْعَثْرَةِ، وَيُوَاقِفُ عَلَىٰ الْحُدُودِ.

وَالْمُنْكَرُ مَنْ غَرَّتْهُ لَذَّةٌ حَصَلَتْ مَعَ عَدَمِ التَّقْوَىٰ؛ فَإِنَّهَا سَتَحُولُ وَتُخَلِّيهِ خَاسِرًا.

وَلَازِمِ التَّقْوَىٰ فِي كُلِّ حَالٍ؛ فَإِنَّكَ لَا تَرَىٰ فِي الضِّيقِ إِلَّا السَّعَةَ، وَفِي الْمَرَضِ إِلَّا الْعَافِيَةَ، هَذَا نَقْدُهَا الْعَاجِلُ، وَالْآجِلُ مَعْلُومٌ»[1].(*).

❀❀❀

(١) «صيد الخاطر» (ص: ١٣٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «الْمُنْتَقَىٰ مِنْ صَيْدِ الْخَاطِرِ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ» (الْمُحَاضَرَة: ١٠)، الِاثْنَيْنِ ٢٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٤١هـ| ١٠-٨-٢٠٢٠م.

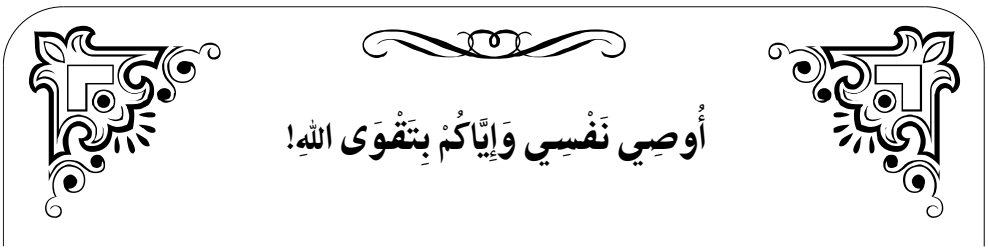

أُوصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِتَقْوَى اللهِ!

عِبَادَ اللهِ! لَقَدْ بَيَّنَ لَنَا رَبُّنَا أَنَّ هَذِهِ الْخَصْلَةَ وَهَذِهِ الصِّفَةَ -صِفَةَ التَّقْوَىٰ- وَصَّىٰ اللهُ بِهَا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَقَالَ رَبُّنَا: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

فَبَيَّنَ لَنَا رَبُّنَا أَنَّ هَذِهِ الْخَصْلَةَ وَهَذِهِ الصِّفَةَ هِيَ الَّتِي وَصَّىٰ اللهُ بِهَا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَهِيَ وَصِيَّتُهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.(*).

عَلَىٰ الْمَرْءِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ يَضْرِبَ فِي هَذِهِ الْوَصِيَّةِ بِنَصِيبٍ جَلِيلٍ؛ لِأَنَّهَا وَصِيَّةُ اللهِ جَلَّوَعَلَا لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ؛ فَأُوصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ -عِبَادَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ- بِتَقْوَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ يَجْعَلَ الْإِنْسَانُ دَائِمًا عَلَىٰ نَفْسِهِ رَقِيبًا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَنْ يَسْأَلَ ذَاتَهُ مُحَاسِبًا إِيَّاهَا عَلَىٰ كُلِّ عَمَلِهِ، وَعَلَىٰ كُلِّ تَرْكٍ يَتْرُكُهُ، وَعَلَىٰ كُلِّ قَوْلٍ يَقُولُهُ، وَصَمْتٍ يَصْمُتُهُ، وَعَلَىٰ كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ، وَعَلَىٰ كُلِّ بَذْلٍ وَإِمْسَاكٍ، وَعَلَىٰ كُلِّ إِعْطَاءٍ وَمَنْعٍ.

عَلَىٰ الْمَرْءِ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ نَفْسِهِ رَقِيبًا عَلَىٰ نَفْسِهِ، مُتَّقِيًا بِذَلِكَ غَضَبَ اللهِ رَبِّ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «مَقَامُ التَّقْوَىٰ».

الْعَالَمِينَ وَسُخْطَهُ؛ حَتَّىٰ يَجْعَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي عِدَادِ الْمُتَّقِينَ، وَيَجْعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ مِنَ الْحِفْظِ بِالْكِفَايَةِ عَلَىٰ قَدْرِ تَقْوَاهُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

يَقُولُ اللهُ جَلَّوَعَلَا فِي مَعْرِضِ السُّؤَالِ الَّذِي يُرَادُ مِنْهُ التَّقْرِيرُ وَالتَّحْقِيقُ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

وَهُوَ سُؤَالٌ ظَاهِرُهُ عَلَىٰ ظَاهِرِ السُّؤَالِ، وَحَقِيقَتُهُ عَلَىٰ التَّقْرِيرِ؛ يَعْنِي: اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كَافٍ عَبْدَهُ.

يَقُولُ عُلَمَاؤُنَا -عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ-: إِنَّ الْكِفَايَةَ تَكُونُ عَلَىٰ قَدْرِ الْعُبُودِيَّةِ، فَمَنْ أَتَىٰ بِعُبُودِيَّةٍ كَامِلَةٍ فَلَهُ كِفَايَةٌ كَامِلَةٌ، وَمَنْ أَتَىٰ بِعُبُودِيَّةٍ نَاقِصَةٍ فَلَهُ مِنَ الْكِفَايَةِ عَلَىٰ قَدْرِ مَا أَتَىٰ مِنْ تَحْقِيقِ الْعُبُودِيَّةِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ» - الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢١هـ| ٢-٦-٢٠٠٠م.

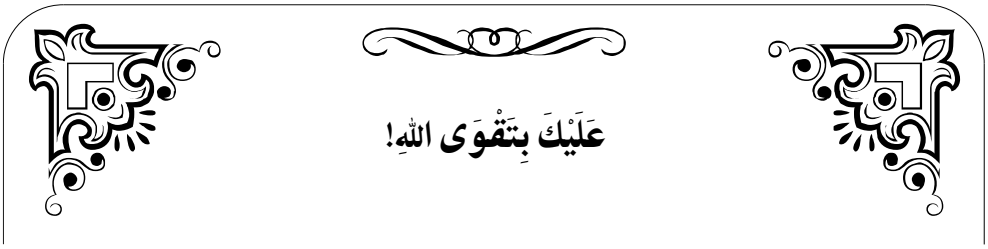

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ!

عَلَيْكَ بِتَقْوَىٰ اللهِ فِي فِعْلِ أَمْرِهِ ... وَتَجْتَنِبُ الْمَنْهِيَّ عَنْهُ وَتُبْعِدُ

وَكُنْ مُخْلِصًا للهِ وَاحْذَرْ مِنَ الرِّيَا ... وَتَابِعْ رَسُولَ اللهِ إِنْ كُنْتَ تَعْبُدُ

تَوَكَّلْ عَلَىٰ الرَّحْمَنِ حَقًّا وَثِقْ بِهِ ... لِيَكْفِيكَ مَا يُغْنِيكَ حَقًّا وَتَرْشُدُ

تَصَبَّرْ عَنِ العِصْيَانِ وَاصْبِرْ لِحُكْمِهِ ... وَصَابِرْ عَلَىٰ الطَّاعَاتِ عَلَّكَ تَسْعَدُ

وَكُنْ سَائِرًا بَيْنَ الْمَخَافَةِ وَالرَّجَا ... هُمَا كَجَنَاحَيْ طَائِرٍ حِينَ تَقْصِدُ

وَقَلْبَكَ طَهِّرْهُ وَمِنْ كُلِّ آفَةٍ ... وَكُنْ أَبَدًا عَنْ عَيْبِهِ تَتَفَقَّدُ

وَجَمِّلْ بِنُصْحِ الْخَلْقِ قَلْبَكَ إِنَّهُ ... لَأَعْلَىٰ جَمَالٍ لِلْقُلُوبِ وَأَجْوَدُ

وَصَاحِبْ إِذَا صَاحَبْتَ كُلَّ مُوَفَّقٍ ... يَقُودُكَ لِلْخَيْرَاتِ نُصْحًا وَيُرْشِدُ

وَإِيَّاكَ وَالْمَرْءَ الَّذِي إِنْ صَحِبْتَهُ ... خَسِرْتَ خَسَارًا لَيْسَ فِيهِ تَرَدُّدُ

خُذِ العَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِ مَنْ قَدْ صَحِبْتَهُ ... كَمَا يَأْمُرُ الرَّحْمَنُ فِيهِ وَيُرْشِدُ

تَرَحَّلْ عَنِ الدُّنْيَا فَلَيْسَتْ إِقَامَةً ... وَلَكِنَّهَا زَادٌ لِمَنْ يَتَزَوَّدُ

وَكُنْ سَالِكًا طُرْقَ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا ... إِلَىٰ المَنْزِلِ البَاقِي الَّذِي لَيْسَ يَنْفَدُ

وَكُنْ ذَاكِرًا اللهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ ... فَلَيْسَ لِذِكْرِ اللهِ وَقْتٌ مُقَيَّدُ

فَذِكْرُ إِلَهِ الْعَرْشِ سِرًّا وَمُعْلَنًا ... يُزِيلُ الشَّقَا وَالهَمَّ عَنْكَ وَيَطْرُدُ

وَيَجْلِبُ لِلْخَيْرَاتِ دُنْيَا وَآجِلَا ... وَإِنْ يَأْتِكَ الْوَسْوَاسُ يَوْمًا يُشَرِّدُ
فَقَدْ أَخْبَرَ الْمُخْتَارُ يَوْمًا لِصَحْبِهِ ... بِأَنَّ كَثِيرَ الذِّكْرِ فِي السَّبْقِ مُفْرِدُ
وَوَصَّىٰ مُعَاذًا يَسْتَعِينُ إِلَهَهُ ... عَلَىٰ ذِكْرِهِ وَالشُّكْرِ بِالْحُسْنِ يَعْبُدُ
وَأَوْصَىٰ لِشَخْصٍ قَدْ أَتَىٰ لِنَصِيحَةٍ ... وَقَدْ كَانَ فِي حَمْلِ الشَّرَائِعِ يَجْهَدُ
بِأَنْ لا يَزَلْ رَطْبًا لِسَانُكَ هَذِهِ ... تُعِينُ عَلَىٰ كُلِّ الْأُمُورِ وَتُسْعِدُ
وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ غَرْسٌ لِأَهْلِهِ ... بِجَنَّاتِ عَدْنٍ وَالمَسَاكِنُ تُمْهَدُ
وَأَخْبَرَ أَنَّ اللهَ يَذْكُرُ عَبْدَهُ ... وَمَعْهُ عَلَىٰ كُلِّ الْأُمُورِ يُسَدِّدُ
وَأَخْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ يَبْقَىٰ بِجَنَّةٍ ... وَيَنْقَطِعُ التَّكْلِيفُ حِينَ يُخَلَّدُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذِكْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ ... طَرِيقٌ إِلَىٰ حُبِّ الْإِلَهِ وَمُرْشِدُ
وَيَنْهَىٰ الفَتَىٰ عَنْ غِيبَةٍ وَنَمِيمَةٍ ... وَعَنْ كُلِّ قَوْلٍ لِلدِّيَانَةِ مُفْسِدُ
لَكَانَ لَنَا حَظٌّ عَظِيمٌ وَرَغْبَةٌ ... بِكَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ نِعْمَ المُوَحَّدُ
وَلَكِنَّنَا مِنْ جَهْلِنَا قَلَّ ذِكْرُنَا ... كَمَا قَلَّ مِنَّا لِلْإِلَهِ التَّعَبُّدُ
وَسَلْ رَبَّكَ التَّوْفِيقَ وَالفَوْزَ دَائِمًا ... فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَقْصِدُ
وَصَلِّ إِلَهِي مَعْ سَلَامٍ وَرَحْمَةٍ ... عَلَىٰ خَيْرِ مَنْ قَدْ كَانَ لِلْخَلْقِ يُرْشِدُ
وَآلٍ وَأَصْحَابٍ وَمَنْ كَانَ تَابِعًا ... صَلَاةً وَتَسْلِيمًا يَدُومُ وَيَخْلُدُ

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «يَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ!» - الْجُمُعَةُ ٢٣ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٢ هـ| ١٣-٧-٢٠١٢م.

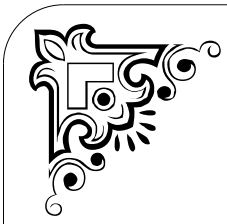

الفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

التَّقْوَىٰ وَصِيَّةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ٤

مَعْنَىٰ التَّقْوَىٰ وَحَقِيقَتُهَا ٧

الْحَثُّ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ١١

خَيْرُ الزَّادِ تَقْوَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ١٩

جُمْلَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ ٢١

التَّقْوَىٰ مِيزَانُ الْخَلَائِقِ عِنْدَ اللهِ ٣٤

ثَمَرَاتُ التَّقْوَىٰ ٣٥

مِنْ مَفَاتِيحِ الرِّزْقِ: التَّقْوَىٰ وَالتَّوَكُّلُ وَالتَّفَرُّغُ لِلْعِبَادَةِ ٤٧

السَّعِيدُ مَنْ لَازَمَ التَّقْوَىٰ ٥١

أُوصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ! ٥٣

عَلَيْكَ بِتَقْوَىٰ اللهِ! ٥٥